

**International Islamic
University Islamabad**
Faculty of Usuluddin
**Department of Tafseer &
Quranic Sciences**



الجامعة الإسلامية العالمية
إسلام آباد
كلية أصول الدين
قسم التفسير وعلوم القرآن

المناسبات بين السور والآيات في تفسير "رشد القرآن في تفسير آيات
القرآن" للشيخ أسيد الله رحمه الله (المتوفى 2009م)
(دراسة تحليلية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

خالد خان بن عبد الرحمن الشهيد

رقم التسجيل: 216-FU/MSTQS/S23

تحت إشراف:

الدكتور هارون الرشيد-حفظه الله ورعاه-

العام: 1446هـ، 2024ء.

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله العظيم ،
والصلاة والسلام
على رسول الله خاتم النبيين .

الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى مَنْ قال الله سبحانه وتعالى فيهما: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾¹، وإلى أساتذتي الكرام الذين علّموني حرفاً أصبح سناهُ برقاً يضيء الطريق أمامي، وإلى إخوتي وأخواتي الذين قوّموني برقةٍ إذا زللتُ، وأنّهضوني بعزةٍ لَمَّا كبوتُ، وعصبوا جراحي بحنوّ حينَ عثرتُ، وإلى زوجتي وشريكة حياتي التي لم تبخل عليّ بوقتها وجهدها في مسيرتي، وإلى كلّ فردٍ من أسرتي المباركة التي ربّنتني صغيراً، وأرشدتني كبيراً، وإلى أصدقائي المبجلين، رموز الإخلاص والوفاء، وإلى كلّ مَنْ لم يدّخر جهداً في مساعدتي، وإلى كلّ مَنْ شجّعني ودعّمني في حياتي، وأعطاني دفعةً نحو الأمام.

(1) [الإسراء: 24/15].

الشكر والتقدير

من دواعي الوفاء بعد إتمام الرسالة، وانطلاقاً من باب "مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ"²، أن أرفع بأسمى آيات الشكر والتقدير إلى أستاذي الجليل، ومشرفي الحنون، الدكتور هارون الرشيد - حفظه الله ورعاه - الذي كان عينا ساهرة على الرسالة طوال مدة إعدادها وإكمالها، على إرشاداته القيمة وتوجيهاته الغالية التي لم يبخل بها علي يوماً.

ويسعدني أن أتقدم بوافر الشكر والامتنان إلى أساتذتي في كلية أصول الدين أي: "في قسم التفسير وعلوم القرآن" بالجامعة الإسلامية العالمية.

كما يجب علي أن أقدم الشكر الجزيل والتقدير العالي إلى سعادة أخي الأكبر عبد الخالق الذي أعانني في سبيل دراستي هذه كلها.

ولن يفوتني أن أخص بالشكر من أعانني على الدراسة، ومن كان لي عوناً في هذا العمل المتواضع؛ جزاهم الله جميعاً أحسن الجزاء.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يتقبل هذا الجهد المتواضع خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، فإنه ولي ذلك والقادر عليه.



(²) سنن الترمذي، رقم الحديث: 1955، وقال الإمام الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ"، 339/4، ط2، شركة: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر (1395هـ/1975م).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمد الله تعالى حمدا يليق بجلاله، وأستعين به وأستغفره، وألجأ إليه من كل شر نفسي وأعمالي، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. أما بعد!

أولاً: التعريف بالموضوع:

يُعَدُّ علمُ المناسبة من مباحث علوم القرآن، وهو علمٌ يُعنى بكشف وجوه الترابط والانسجام بين أجزاء النص القرآني، سواء كان ذلك بين كلمات الآية الواحدة، أو بين آيتين متتاليتين، أو في مجموع الآيات، أو بين السور بعضها مع بعض. واخترت دراسة موضوع المناسبات في تفسير أحد الأعلام وهو الشيخ أسيد الله -رحمه الله (المتوفى: 2009م) الذي اهتم بهذا الجانب كثيرا في تفسيره، وهو تفسير ضخيم يحتوي على سبع مجلدات كبار، وكان لهذا الاهتمام أثر بالغ في إبراز المعاني التفسيرية.

ثانيا: أهمية هذا الموضوع:

ولهذا العلم أهمية بالغة عند مفسري القرآن شرقا وغربا، وعجما وعربا، وهو جانب تفسيري يحتوي على أهمية بالغة، وفيما يلي بعض الملامح لأهمية هذا الموضوع:

1. هذا علم يتعلق بإبراز وجوه التناسق والترابط بين الآيات القرآنية والسور فيها.
2. ومما لا مرأى فيه أن هذا العلم يعين على فهم القرآن الكريم فهما صحيحا مع إبراز حسن النظم القرآني.
3. تطبيق هذا العلم على أحد التفاسير مما يدل على اهتمام المفسر بهذا الجانب وحسن تناوله لمعاني القرآن الكريم.

ثالثا: أسباب اختيار الموضوع:

- تتعدد الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع ومن أبرزها ما يأتي :
- 1- الشيخ أسيد الله -رحمه الله- من العلماء المعاصرين، ولم يتطرق أحد من الباحثين قبلي بدراسة هذا الجانب في تفسيره.
 - 2- معرفة المعنى الصحيح في القرآن الكريم لا تنأى إلى بمعرفة جانب المناسبات والارتباط بين الجمل والآيات والسور.
 - 3- اهتمام المفسر رحمه الله في هذا التفسير بهذا الجانب بوجوه مختلفة، وأثره البالغ على فهم الآيات.

رابعا: الدراسات السابقة:

المناسبات في تفاسير القرآن الكريم ولها كتابات حولها بصفة عامة مما لا تعد ولا تحصى. أما هذا التفسير الذي أنا بصدد دراسته، لم يتطرق إليه أحد من الباحثين قبلي، لا في الكتب، ولا في الرسائل الجامعية، ولا في المجالات، والبحوث الأكاديمية، وذلك بسبب أن المؤلف -رحمه الله- من المعاصرين القريبين، حيث انتقل إلى رحمة الله في سنة 2009ء، ومن هنا لا يوجد حول هذا التفسير وخاصة في جانب المناسبات فيه لا كتاب ولا رسالة ولا بحث، وبهذا يكون موضوعي ودراستي لهذا الجانب في هذا التفسير موضوعاً جديداً مبتكراً.

خامساً: إشكالية البحث:

1. هل التزم الشيخ أسيد الله -رحمه الله- ببيان المناسبات حسب الوجوه المذكورة في كتب علوم القرآن؟

2. هل لبيانه وجوه المناسبات أثر على المعنى والمفهوم في تفسير القرآن؟

3. ما هي المؤتلفات، والمختلفات بين الشيخ وغيره من المفسرين المتقدمين عليه؟

سادساً: منهج البحث:

منهجي في البحث سيكون دراسة تحليلية.

سابعاً: خطوات البحث:

1. جمع المادة العلمية وتحليلها تحليلًا علميًا دقيقًا.
2. نسبة الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان أرقام الآيات .
3. تخريج الأحاديث من كتب الأحاديث والمصادر الأصلية.
4. ترجمة الأعلام غير المشهورين.
5. شرح المفردات الصعبة الغريبة.

خطة البحث:

تتألف خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول وخاتمة. أما المقدمة فتتضمن الشناء على الله تعالى والصلاة على رسوله مع التعريف بالموضوع وأهميته، وأسباب اختيار الموضوع، والدراسات السابقة، وإشكالية البحث، ومنهج البحث.

التمهيد:

ويخصص للتعريف بالمؤلف وكتابه.

أما الفصول: فالرسالة تنقسم إلى ثلاثة فصول كما يلي :

الفصل الأول: مقدمات في علم المناسبات. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف علم المناسبات.

المبحث الثاني: نشأة علم المناسبات وتطوره.

المبحث الثالث: أهمية علم المناسبات.

المبحث الرابع: أنواع المناسبات.

المبحث الخامس: مقدمات مهمة في علم المناسبات، وفيها مطلبان:

المطلب الأول: قضية ترتيب آيات القرآن الكريم.

المطلب الثاني: قضية ترتيب سور القرآن الكريم.

الفصل الثاني: اهتمام الشيخ ببيان المناسبات بين الآيات، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بيانه للمناسبات في الآية الواحدة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيانه للمناسبات بين الكلمات في الآية الواحدة.

المطلب الثاني: بيانه للمناسبات بين الجمل في الآية الواحدة.

المبحث الثاني: بيانه للمناسبات بين مجموعة من الآيات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيانه للمناسبات بين الآية والآية.

المطلب الثاني: بيانه للمناسبات بين فاتحة السورة وخاتمة السورة.

الفصل الثالث: منهج الشيخ ببيان المناسبات بين السورة القرآنية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيانه للمناسبات بين مضمون السورتين المتجاورتين.

المبحث الثاني: بيانه للمناسبات التي بين فواتح السورتين المتجاورتين.

المبحث الثالث: بيانه للمناسبات بين فاتحة السورة وخاتمة ماقبلها.

الخاتمة

الفهارس



التمهيد:

التمهيد يشتمل على التعريف بالمؤلف وكتابه.

أولاً: التعريف بالمؤلف

- (1) اسمه : أسيد الله بن الحاج مختار الله المعروف ب نصرت بابا³.
- (2) أسرته : الشيخ من قبيلة ببي خيل التي هي فرع من نصرت خيل ونصرت خيل فرع من قبيلة عظيمة بشتونية المسماة ب - يوسفزي⁴.
- (3) ولادته : يقول ابن الشيخ في مقدمة تفسير أبيه أن تسجيل تاريخ الولادة لم يكن مألوفاً في منطقنا بل كان أبونا يقول إن ولادتي حوالي نوفمبر 1945، في بلدة بلكوت مديرية كالانداها كه (تورغر) خير پختونخواه باكستان⁵.

(4) رحلاته العلمية: قرأ الشيخ بعض الكتب الإبتدائية عند الشيخ الشهير مولانا عمرولي رحمه الله المعروف ب " بلكوت باباجي" ثم بعد وفاة الشيخ عمر ولي، ارتحل مع أخيه الكبير مولانا مغفور الله إلى منجوره سوات وقرأ هناك بعض الكتب مثلاً : گلستان، كافيه⁶ وغيرهما عند الشيخ خان بهادر (مارتونك بابا) و مع ابنه مولانا رشيد أحمد رحمه الله ومكث هناك أربع سنوات ، ثم ارتحل معهما إلى بلدهما مارتونك وقرأ كتب المنطق عند الشيخ رشيد أحمد ابن الشيخ خان بهادر وكتب الفلسفة عند الشيخ مولانا أمان الله وكتب علم النحو، والبيان، والميراث وعلم الأصول عند الشيخ مولانا لطف الله رحمهم الله.

وأخيراً في سنة 1967ء التحق بدار العلوم سوات في درجة الموقوف عليه وقرأ كتب الحديث عند الشيخ خان بهادر في سنة 1969، وأعطى له الإجازة في الأحاديث النبوية وأيضاً أخذ منه الإجازة في سلسلة القادرية والجشتية في سنة 1971ء⁷.

6: شيوخه:

³: كتب ابنه في ترجمة أبيه في بداية تفسير رشد القرآن في تفسير آيات القرآن، مكتبة رحمانيه بشاور باكستان ج:1، ص:3.

⁴: المصدر السابق.

⁵: المصدر السابق.

⁶: گلستان، كتاب في الأدب لشيخ شرف الدين مصلح سعدي شيرازي (متوفي 1291/691هـ)، والكافية في علم النحو للحاجب جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الإسنوي المالكي (توفي: 646 هـ).

⁷: رشد القرآن في تفسير آيات القرآن، ج: 1، ص: 4.

قد تلمذ الشيخ على المشائخ الكبار في وقته و من أشهر أساتذته ما يلي:

1: فضيلة الشيخ مولانا عمرولي المعروف بـ " بلكوت بابا" أخذ منه بعض الكتب من العلوم النقلية والعقلية.

2. فضيلة الشيخ مولانا مغفور الله قد تعلم منه كتب الفارسي والنحو مثلاً: گلستان، بوستان، زليخا، كافيّة وغير ذلك.

3. فضيلة الشيخ مولانا رشيد أحمد أخذ منه علم المنطق وبعض الأجزاء من تفسير القرآن الكريم.

4. فضيلة الشيخ مولانا أمان الله قد أخذ منه علم الفلسفة.

5. فضيلة الشيخ مولانا لطف الله أخذ منه علم النحو ، علم البيان، علم الميراث و علم الاصول.

6. فضيلة الشيخ مولانا خان بهادر "مارتونك بابا" قرء منه كتب الأحاديث "دورة حديث"⁸.

7. فضيلة الشيخ مولانا زرداد كوهستاني درس عليه جزءاً من تفسير القرآن الكريم.

8. فضيلة الشيخ شيخ القرآن مولانا عبد الهادي شاه منصوري "شاه منصور بابا" درس عليه تفسير القرآن مرتين.

9: فضيلة الشيخ شيخ القرآن مولانا غلام الله خان أيضاً درس عليه تفسير القرآن مرتين⁹.

تلاميذه:

للشيخ مئات من التلامذة.

وفاة الشيخ:

كان وفاة الشيخ معجزة للقرآن حيث كان بعد صلاة العصر مشغولاً في كتابة تفسير القرآن وعند ما وصل إلى آية سورة إبراهيم ﴿وَلَنَسْكَنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٌ﴾¹⁰.

وكتب توجيهها لهذه الآية المباركة" المراد من المقام القيام عند سبحانه وتعالى " ثم لم يلبث إلا قد مات ذلك الوقت، إنا لله وإنا إليه راجعون. ذلك سبعة وعشرين "27" ربيع الأول سنة 1430هـ الموافق 24 مارس 2009ء¹¹.

⁸ - نفس المصدر.

⁹ - رشد القرآن في تفسير آيات القرآن، ج 1 ص 6.

¹⁰ - "إبراهيم: 14).

¹¹ - رشد القرآن في تفسير آيات القرآن، ج 1: ص: 8.

جهوده العلمية ومؤلفاته:

عندما كان الشيخ طالباً كان يذاكر مع الطلاب الدروس اليومية فازدادت رغبته في التدريس فدرّس بعض الكتب مثلاً كافية، شرح تهذيب، قطي، وسلم العلوم¹² وغير ذلك وهو لا زال طالباً. ثم بعد التخرج إشتغل بتدريس الكتب من المنطق والفلسفة والحكمة وعلم الأصول في بلدة مارتونك مع شيخه "مارتونك بابا" قرابة ثماني سنوات.

بعد وفاة الشيخ خان بهادر "مارتونك بابا" إنتقل إلى جامعة حقانية أكورده ختك نوشهره سنة 1978، ومكث هناك إثنتي عشرة سنة، وكان الشيخ يعلم الناس تفسير القرآن بعد صلاة العصر كل يوم. ثم إنتقل الشيخ بعد وفاة الشيخ عبد الحق (رحمه الله) إلى دار العلوم إسلامية زركوي هنجو. ثم إنتقل بعد زمن إلى دار العلوم وزيرستان وانا ومكث هناك فترة طويلة ثم إرتحل إلى دار العلوم تعليم القرآن ويسه أتك ثم إلى تعليم القرآن كوهات ثم إرتحل إلى تعليم القرآن را والبندي بنجاب الي وفاته رحمه الله رحمة واسعة¹³.

مؤلفاته:

قام الشيخ رحمه الله بتأليف الكتب التالية:

- 4 - رشد القرآن في تفسير آيات القرآن باللغة البشتوية - ط¹⁴.
- 1-رشد العلوم (تصورات) شرح سلم العلوم باللغة العربية - ط.
- 2- رشد العلوم (تصديقات) شرح سلم العلوم باللغة العربية.
- 3- هدية الملوكوت شرح مسلم الثبوت باللغة البشتوية - ط.



¹² - شرح التهذيب في المنطق للشيخ مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين التفتازاني (712-793هـ) والقطبي أيضاً في المنطق للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد الرازي أبو عبد الله، قطب الدين (694-766هـ). انظر رشد القرآن في تفسير آيات القرآن ج: 1، ص: 2.

¹³ - رشد القرآن في تفسير آيات القرآن، ج: 1، ص: 5.

¹⁴ - رشد القرآن في آيات القرآن، ج: 1، ص: 7.

ثانياً: التعريف بتفسيره:

التفسير الذي ألفه الشيخ هو تفسير القرآن الكريم باللغة البشتوية المسمى بـ "رشد القرآن في تفسير آيات القرآن" وقد وصل في هذا التفسير إلى آية سورة إبراهيم (وَلَنُصَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ (14) وانتقل إلى رحمة الله وهو يكتب تفسير هذه الآية. ثم أكمل تفسيره ابنه مولانا تقي الله -حفظه الله تعالى- من الدروس التي جمع فيها تفسير الشيخ الذي كان يلقيه بعد العصر كل يوم.

والتفسير قد طبع من مكتبة رحمانية بشاور استفاد الشيخ في تفسيره من الشيخين الكريمين، وهما:

- 1- فضيلة الشيخ مولانا عبد الهادي شاه منصورى¹⁵ (رحمه الله). 2- فضيلة الشيخ غلام الله خان راولبندي¹⁶ -رحمه الله-¹⁷.

المطلب الرابع: السبب الداعي لتأليف هذا التفسير:

نظراً بعلم الشيخ وفضله اقترح بعض العلماء و الطلاب على الشيخ أن يتفضل بكتابة تفسير باللغة البشتية سهل الأسلوب مع الترجمة اللفظية للقرآن الكريم حتى يستنير الناس به في معرفة العقيدة الصحيحة والرغبة في العمل الصالح. فبدأ الشيخ بالتفسير في سنة 2001، حتى وصل إلى سورة إبراهيم ثم بعد وفاته أكمل تفسيره ابنه مولانا ثناء الله ومولانا تقي الله¹⁸.

¹⁵ - هو عبد الهادي المعروف بـ "شاه منصور باباجي" (1408-1292هـ-1875-1990)، عالم من علماء بشتون، ولد في قرية شاه منصور صوابي قرب بشاور. تلمذ في التفسير على الشيخ حسين علي رحمه الله، كان من مشاهير علماء التفسير في المنطقة، كتب تفسيراً بالعربية سماه "التفسير البرهان في مشكلات القرآن"، توفي الشيخ بعد عمر طويل، ودفن في قريته انظر مناقب الشيخ عبد السلام الرستمي السيد أبرار الهاشمي، ص: 11.

¹⁶ - هو غلام الله خان (1400-1323هـ-1905-1980ء) صاحب التفسير "جواهر القرآن تلمذ في التفسير على الشيخ حسين علي، ثم رحل إلى مدرسة ديوبند، وقرأ بعض الكتب ثم التحق بعده بدورة الحديث في ديبل، وأخذ إجازة الحديث من الشيخ أنور شاه كشميري "1939"، واشتغل بالتدريس هناك سنة واحدة، وبعده عاد إلى راولبندي، فأسس مدرسة باسم "تعليم القرآن"، بقي فيها حتى انتقل إلى جوار ربه. انظر (بتصرف) حیات شیخ القرآن مولانا غلام الله خان - الميان محمد الياس و مولانا حسين علي آكادي صادق آباد راولبندي لندي. ص: 26-تا-41.

¹⁷ - رشد القرآن في تفسير آيات القرآن، ج: 1 ص: 8/9.

¹⁸ - رشد القرآن في تفسير آيات القرآن، ج: 1 ص: 8.



الفصل الأول:

مقدمات في علم المناسبات

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف علم المناسبات.
- المبحث الثاني: أهمية علم المناسبات.
- المبحث الثالث: نشأة علم المناسبات وتطوره.
- المبحث الرابع: أنواع المناسبات.
- المبحث الخامس: مقدمات مهمة في علم المناسبات.

وفيها مطالب:

- المطلب الأول: قضية ترتيب آيات القرآن الكريم.
- المطلب الثاني: قضية ترتيب سور القرآن الكريم.

المبحث الأول:

تعريف علم المناسبات:

المناسبة لغة:

قال ابن فارس¹⁹ في معجم مقاييس اللغة:

"(النون، والسين، والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نسبت أنسب، وهو نسيب فلان والنسيب: الطريق المستقيم، الاتصال بعضه من بعض"²⁰.

كذا قال الزركشي²¹ في البرهان:

"المناسبة في اللغة المقارنة وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل كالأخوين وابن العم ونحوه وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة"²². ويقول مناع بن خليل: "المناسبة في اللغة: المقارنة، يقال فلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويشاكله، ومنه المناسبة في العلة في باب القياس، وهي الوصف المقارب للحكم"²³.

¹⁹ - هو الإمام العلامة، اللغوي المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، كان رأساً في الأدب، بصيراً بفقهاء مالك، مناظراً متكلماً على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، جمع إلقان العلم إلى ظرف أهل الكتابة والشعر، وله مصنفات ورسائل، وتخرج به أئمة. انظر: سير أعلام النبلاء، للمؤلف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ص: 539، ج: 12، الناشر: دار الحديث القاهرة الطبعة: 1427هـ 2006م.

²⁰ - معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أحمد (ت 395هـ)، ج: 5، ص: 423-424، دار الجيل، بيروت.

²¹ - هو الإمام العلامة بدر الدين أبو عبد الله، محمد بن عبد الله، بن بهادر الزركشي، الفقيه الأصولي، المحدث المفسر، المصنف المحرر، المنهجي، الشافعي المذهب، التركي الأصل، المصري المولد، ولد سنة 745هـ الموافق لسنة 1344م. <https://www.alukah.net/culture>

²² - البرهان في علوم القرآن، ص: 35، ج: 1.

²³ - هو الشيخ مناع أبو محمد القطان، أحد أعلام الدعوة المعاصرة، ولد في قرية شنشور، بدأ حياته العلمية بحفظ القرآن الكريم إحددي محافظ المتوفية بجمهورية مصر عام 1925م، ونال شهادة العلمية 1951م، وقد شارك في الكثير من المؤتمرات والندوات توفي سنة 1999م. ومن أهم مؤلفاته: مباحث في علوم القرآن والدعوة إلى الإسلام، وتفسير آيات الأحكام وغير ذلك أنظر: علماء مفكرون عرفتهم، لمحمد المجذوب، ج: 1، ص: 447-460، دار الإعتصام بدون تاريخ.

المناسبة اصطلاحاً: قال الإمام البقاعي²⁴: "فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لمقتضاه من الحال،²⁵".
ويؤكد ما قاله الإمام الزركشي والسيوطي²⁶ في فائدة هذا العلم: (هي جعل أجزاء الكلام بعض، فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله البناء المحكم المتلائم الأجزاء)²⁷. وقال الزركشي: "المناسبة أمر معقول، إذا عرض على العقول تلقته بالقبول"²⁸. وقال الشيخ مناع القطان²⁹: "والمراد بالمناسبة هنا وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة"³⁰.



²⁴ - هو الإمام العلامة إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي الخرباوي البقاعي، أبو الحسن، برهان الدين، مؤرخ، مفسر، محدث، أديب. من مؤلفاته: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، وكتاب أحسن الكلام المنتقى من دم الكلام المهروي. توفي سنة 885هـ. انظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للمؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، ج: 1، ص: 19-22، الناشر: دار المعرفة، بيروت.

²⁵ - نظم الدرر في تناسب الآي والسور، لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي : ج: 1، ص: 6 ط: الأولى، دار الكتب الإسلامي بالقاهرة، 1415هـ - 1995م.

²⁶ - هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن عثمان الخضيرى السيوطي، خلال الدين إمام حافظ، مؤرخ، محدث. مصر، اديب نشأ في القاهرة يتيماً. ومن أهم المؤلفات: الاتقان في علوم القرآن التعبير العلم التفسير ومات 911هـ. انظر معجم المفسرين من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر المؤلف عادل نويه ، ط الأولى، ج: 1، ص: 264، مؤسسة نهض الثقافة للتأليف والترجمة والنشر 1983م.

²⁷ - انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي، ج: 1، ص: 36، والاتقان في علوم لقرآن، ج 3، ص 37.

²⁸ - البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج: 1، ص: 131.

²⁹ - مباحث في علوم القرآن، ج 1، ص: 447-460، دار الإعتصام بدون تاريخ.

³⁰ - مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان رحمه الله، ص: 97، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة عشر، (1993هـ).

المبحث الثاني: أهمية علم المناسبات:

علم المناسبة من أهم موضوعات علوم القرآن، فعلم المناسبة علم عظيم يعين على فهم التفسير القرآن الكريم، واستنباط الأحكام، والأصول، والقواعد القرآنية وأيضاً يفيد في إبراز الإعجاز البلاغي للقرآن.

وقد بين كثير من علماء التفسير وعلوم القرآن أهمية هذا العلم فقال الإمام البقاعي: "نسبة علم المناسبة من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو، ولذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة"³¹.

ويقول الإمام الفخر الرازي³²: "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"³³.

وقال الإمام السيوطي في معترك الأقران: (علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته"³⁴).

وقال الإمام البقاعي في نظم الدرر: "وهو سر البلاغة؛ لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجازة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك في معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير كنسبة علم البيان من النحو"³⁵.

³¹ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، ج: 1، ص: 6.

³² - هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي. ولادته ووفاته (٦٠٦٠٥٤٤هـ) الإمام، المفسر، أحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وهو قرشي النسب، أصله من طبرستان، ومولده في الري، وإليها نسبته). من تصانيفه: مفاتيح الغيب، ولوامع البيان في شرح أسماء الله والصفات، ومعالم أصول الدين وغير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي، ج: 6.

³³ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، ج: 10، ص: 110، (المتوفى 606هـ) الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1420هـ.

³⁴ - معارك الأقران في إعجاز القرآن، ويسمى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ج 1، ص: 43، (المتوفى: 911هـ) الطبعة الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1408هـ.

³⁵ - مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للمؤلف إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ج: 1، ص: 142، (المتوفى: 885هـ) دار النشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ-1987م.

وقال العز بن عبد السلام³⁶ فيه: (المناسبة علم حسن، لكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره: فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر فإنه وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا يربط ركيك يضان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة شرعت الأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض³⁷.

قال الشيخ عبد الحميد الفراهي³⁸: "ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور محبوبة تحت دلالات النظم، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه"³⁹.



³⁶ - هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، ولد ونشأ في دمشق سنة 599هـ. من كتبه التفسير الكبير و "الإلمام في أدلة الأحكام" وغير ذلك. وتوفي في عام 160هـ. انظر الأعلام للزركلي، ج: 4، ص: 21.

³⁷ - الإنتقال للسيوطي، ج: 2، ص: 211.

³⁸ - هو الشيخ الفاضل عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قدير بن تاج على الأنصاري الفراهي الأعضكدهي، المعروف بحميد الدين الفراهي، أحد العلماء المشهورين. ولد في جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائتين وألف في قرية قريه من قرى مديرية أعظم كده، وهو من كبار العلماء، له خبرة تامة بالعلوم الأدبية، وقدرة كاملة في الإنشاء والترسل. أهم المؤلفات: تحفة الإعراب، دلائل النظام، مات في التاسع عشر من جمادى الآخرة سنة تسع وأربعين وثلاثمائة وألف في مدينة مشهرا، انظر: الإعلام تمن في تاريخ الحد من الأعلام، (برقة الخواطر ونحة المسامع والنواظر)، للمؤلف عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحمس بالطالبي (المتوفى: 1341هـ)، ج 8، ص: 1297، دار النشر: دار ابن حزم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ 1999هـ.

³⁹ - دلائل النظام، للشيخ عبد الحميد الفراهي، ص: 38، الطبعة الأولى، السنة: 1388هـ.

المبحث الثالث: نشأته و تطوره:

أما الكلام من علم المناسبات فإنه في البداية كان موجوداً بصورة متناثرة في ثنايا الحديث والتفسير عموماً، كما قال الله تعالى: ﴿الرَّكِتَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾⁴⁰. كما جاء في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لكتابة الوحي: (ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)^{41 42} ولكنه لم يأخذ بعد في تلك المرحلة هيئة جامعة، واضحة المعالم. وفي المرحلة التالية نجد الكلام عن المناسبات قد أخذ صورة واضحة المعالم، ولكن لم يدون تدويناً جامعاً مستقلاً، وهذه المرحلة تظهر في كلام بعض العلماء عن ذلك⁴³. ثم بعد ذلك بدأ العلماء يصنفون كتباً مستقلة حول المناسبات، وفيما يلي بيان التطور علم المناسبات لا سيما بعد القرن الثالث الهجري.

ففي القرن الرابع الهجري: يقول الزركشي:

أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم تكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام أبو بكر النيسابوري⁴⁴، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب وكان يقول على الكرسي إذا قرئ عليه الآية لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه. وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يزري

⁴⁰ - سورة هود، الآية: 1.

⁴¹ - قال الحافظ: أخرجه أصحاب السنن الثلاثة وصححه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس عن عثمان

قال: فذكره" أنيس الساري (تخريج أحاديث فتح الباري) حرف الضاد ج، 5، ص: 3501

⁴² . مسند البزار، المشهور ب "البحر الزخار" لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العنكي المعروف بالبزار (ت: 292هـ)، ج: 2، ص: 8، ح: 344، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: 1، بدأت 1988م، وانتهت 2009.

⁴³ - علم المناسبات في السور والآيات للدكتور محمد بن عمر بن سالم بازمول، ص: 23، المكتبة المكية، ط: 1، 1423.

⁴⁴ - هو أحمد بن إسحاق بن أيوب، أبو بكر النيسابوري المعروف بالصبي (٣٤٢-٢٥٨هـ / ٨٧٢-٩٥٧)، فقيه شافعي، من أهل نيسابور له تصانيف، منها: الأسماء والصفات والإيمان والقدر وفضائل الخلفاء الأربعة. انظر الأعلام للزركلي، ج: 1، ص: 95.

على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة)⁴⁵. ونجد كذلك في هذا القرن الإمام الجصاص⁴⁶ حيث أكد على أن سور القرآن كلها متناسبة، ونجد في أواخر هذا القرن محمد بن علي الهمداني ألف كتاب (علم المناسبة) أول كتاب ألف في هذا الموضوع.

وفي القرن الخامس الهجري:

وفي هذا القرن ألف أبو بكر الباقلاني⁴⁷ كتابه: "إعجاز القرآن" حيث أكد فيه على أن بلاغة القرآن متساوية في الدرجة و متناسبة في التركيب من أوله إلى آخره، ومن بعده جاء عبد القاهر الجرجاني⁴⁸ في الذي ألف كتابه "دلائل الإعجاز" الذي عرض فيه نظرية "النظم القرآني"⁴⁹.

ومن علماء القرن السادس الهجري: أما القرن السادس الهجري فنجد القاضي عياض⁵⁰ يقول: (إن إعجاز القرآن وجوها عدة منها : حسن تأليفه و فصاحته، ومنها صورة نظم العجيب)⁵¹ وأيضاً الإمام الزمخشري⁵² صاحب تفسير "الكشاف".

⁴⁵ - انظر البرهان في علوم القرآن، للزركشي: ج: 1، ص: 110-111.

⁴⁶ - هو أحمد بن علي الرازي أبو بكر الجصاص (305-370هـ / 917-980)، فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وخوطب في أن يلي القضاء، فامتنع. وألف كتاب أحكام القرآن وفي أصول الفقه في معهد المخطوطات بالقاهرة غير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي، ج: 1، ص: 171.

⁴⁷ - هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، القاضي، (338-403هـ / 950-1013م)، من كبار علماء الكلام. ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها. كان جيد الاستنباط سريع الجواب. من كتبه: إعجاز القرآن. انظر: الأعلام للزركني. ج: 1، ص: 176.

⁴⁸ - أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، وكان شافعيًا، عالمًا، أشعريًا. من مصنفاته: إعجاز القرآن ومختصر شرح الإيضاح، في التصريف، والجمل، وغير ذلك. وتوفي سنة إحدى وسبعين وأربع مائة. انظر: سير أعلام النبلاء، ج: 35، ص: 404.

⁴⁹ - دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني. ت: الشيخ محمد رشيد رضا، ص: 44، ط: 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ / 1985م.

⁵⁰ - هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض الإمام العلامة، يكنى أبا الفضل، وكان إمام وقته في الحديث وعلومه، عالمًا بالتفسير وجميع علومه، كان مولد القاضي عياض بسبته في شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة، وتوفي بمراكش في شهر جمادى الأخيرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة. انظر: الشفا بتعريف حقوق

وقال ابن العربي⁵³ في "سراج المريدين": ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم⁵⁴.

في القرن السابع الهجري:

وفي القرن السابع الهجري ألف الإمام الفخر الرازي كتابه: "مفاتيح الغيب" المشهور بـ "التفسير الكبير" حيث اهتم فيه ببيان التناسب: بين الآيات وبين السور القرآنية.

المصطفى للمؤلف عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544) 1/204، دار الفيحاء عمان، الطبعة الثانية - 1407هـ.

⁵¹ - انظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي أبي الفضل عياض: ج: 1، ص: 258، دار الفكر، بيروت، 1407هـ / 1988م.

⁵² - هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري جار الله، أبو القاسم (467-538هـ / 1075-1144م) من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب. ولد في زمخشري وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فللقب بحار الله، أشهر كتبه "الكشاف في تفسير القرآن، وأساس البلاغة والمفصل، وغير ذلك. وكان معتزلي المذهب. انظر: الأعلام للزركلي، ج: 7، ص: 178.

⁵³ - هو محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ (468-553هـ - 1076-1148م)، رحل مع أبيه إلى المشرق صنف التفسير أحكام القرآن وشرح الموطأ وشرح الترمذي وغير ذلك وولي هو محمد بن عبد الله بن محمد القضاء ببلده. انظر: الأعلام للزركلي، ج: 6، ص: 230.

⁵⁴ - انظر: الإتيان في علوم القرآن، ج: 3، ص: 369، في القرن السابع الهجري.

القرن الثامن الهجري:

أما القرن الثامن الهجري ففيه الإمام الشاطبي⁵⁵ الذي أكد أن كل سورة في القرآن كلام واحد مترابط الآيات⁵⁶ وقد صنف الأستاذ أبو جعفر بن الزبير⁵⁷، شيخ أبي حيان كتاباً مستقلاً سماه البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن وكذلك الشيخ أبو حيان⁵⁸ تفسيره "البحر المحيط" والإمام بدر الدين الزركشي الذي عقد في كتابه: البرهان في علوم القرآن "باباً خاصاً في علم المناسبات بين الآيات وبين السور وأيضاً⁵⁹. المخدوم المهايبي الهندي⁶⁰ في تفسيره "تبصير الرحمن وتيسير المنان".

القرن التاسع الهجري:

وفيه الإمام برهان الدين البقاعي⁶¹ الذي ألف كتابه: "نظم الدرر في تناسب الأبي والسور".

⁵⁵ - هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللحيمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ولد (790هـ - 1388م)، وأصولي حافظ من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية. من كتبه الموافقات في أصول الفقه، والمجالس شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، وغير ذلك بنظر الأعلام للزركلي، ج: 1، ص: 75.

⁵⁶ - انظر: الموافقات في أصول الشريعة، للإمام الشاطبي، ج: 3، ص: 375، ت: الشيخ عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت، 1996م.

⁵⁷ - هو إبراهيم بن أحمد بن عبد الرحمن ابن عمارة الغرناطي الانصاري، أبو إسحاق قاض أندلسي، ولد ونشأ بغرناطة، وولي القضاء في بعض أعمالها، وخرج منها بعد الفتنة عند انقراض دولة ينظر: الأعلام للزركلي، ج: 1، ص: 29.

⁵⁸ - هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الحيايني، النفري، أثير الدين (654-745هـ) من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة واشتهرت تصانيفه في حياته وقرئت عليه من كتبه: البحر المحيط في تفسير القرآن، ينظر: الأعلام للزركلي، ج: 7، ص: 152.

⁵⁹ - انظر الإتقان في علوم القرآن، ج: 31، ص: 369.

⁶⁰ - هو علي بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المهايبي، الدكني الهندي الحنفي فقيه، متكلم، مفسر، صوفي، ولد عام 776هـ، وتوفي عام 835هـ. من تصانيفه: تبصير الرحمن وتيسير المنان لبعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، رسالة في تفسير الم، الزوارف في شرح عوارف المعارف، شرح فصوص الحكم لابن عربي، وشرح النصوص الصدر الدين القنوي. انظر: معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية لعمر رضا كحالة، ج: 7، ص: 99، بيروت دار إحياء التراث العربي بيروت، بدون تاريخ.

⁶¹ - هو إبراهيم بن عمر بن حسين الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: (809-885هـ / 1406-1480م)، مؤرخ أديب، أصله من البقاع في سورية وتوفي بدمشق من مصنفاته نظم الدرر

أوائل القرن العاشر الهجري:

وفي هذا القرن نجد الإمام جلال الدين السيوطي ألف كتباً كثيرة منها:
 الأول: "أسرار التنزيل" المسمى ب (قطف الأزهار في كشف الأسرار).
 الثاني : تناسق الدرر في تناسب السور "لخصه من كتابه: (أسرار التنزيل).
 الثالث: "مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع".
 "الإتقان في علوم القرآن"⁶²، وأيضاً ألف الإمام أبو السعود⁶³. "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" حيث أبرز فيه دقة البلاغة القرآنية وتناسق ألفاظه وجمله في الآيات، وتألف آياته في السور.

القرن الثالث عشر الهجري:

أما القرن الثالث عشر قد اهتم الإمام شهاب الدين السيد محمود الألوسي⁶⁴ " في كتابه: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني بذكر المناسبة بين سور القرآن وآياته في مواضع لا تحصى من تفسيره.

في تناسب الآيات والسور ، يعرف مناسبات البقاعي أو تفسير البقاعي، ومساعد النظر للإشراف على مقاصد السور، انظر الأعلام للزركلي، ج: 1، ص: 156.

⁶² - الإتقان في علوم القرآن، ج: 2، ص: 288، العلامات.

⁶³ - محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد (898 - 982هـ / 1493 - 1574)، قرب القسطنطينية، ودرس في بلاد متعددة، ومن كتبه (تحفة الطلاب - خ) وغير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي، ج: 7، ص: 59.

⁶⁴ - محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، شهاب الدين أبو الشاء: (1217 - 1270هـ / 1802 - 1859) مفسر، محدث، أديب من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها كان سلفي الاعتقاد، مجتهداً مصنفاته: روح المعاني، نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول، نشوة المدام في العود إلى دار السلام وغرائب الاغتراب، انظر: الأعلام للزركلي، ج: 7، ص: 176.

القرن الرابع عشر الهجري:

أول من بدأ بأسلوب جديد في التفسير المعاصر للقرآن وإهتم في تفسيره ببيان التناسب هو الشيخ محمد عبده⁶⁵. وكذلك المراغي⁶⁶ في تفسيره: "تفسير المراغي والسيد رشيد رضا"⁶⁷ في تفسيره: "المنار".

أوائل القرن الخامس عشر الهجري:

قد ألف في هذه الزمن سعيد حوى⁶⁸ كتابه: "الأساس في التفسير" وكذلك للدكتور وهبه الزحيلي⁶⁹ تفسيره "التفسير المنير".

⁶⁵ - هو محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني مفتي الديار المصرية، (1266-1323هـ / 1849-1905)، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر)، وتولي بالاسكندرية، ودفن في القاهرة. له تفسير القرآن الكريم لم يتمه، ورسالة التوحيد. انظر: الأعلام للزركلي، ج: 6، ص: 252.

⁶⁶ - هو أحمد بن مصطفى المراغي مفسر مصري، من العلماء. تخرج بدار العلوم سنة 1909، ثم كان مدرس الشريعة الإسلامية بها. وولي نظارة بعض المدارس. وعين أستاذا للعربية والشريعة الإسلامية بكلية غوردون بالخرطوم. وتوفي بالقاهرة (1298هـ). له كتب، منها: الحسبة في الإسلام رسالة و الوجيز في أصول الفقه، وتفسير المراغي وغير ذلك. انظر: الأعلام للزركلي، ج: 1، ص: 258.

⁶⁷ - محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا على خليفة القلموني، (1282-1354هـ) بغدادي الأصل. ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام، الحسيني النسب صاحب محلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب وتاريخ والتفسير، انظر: الأعلام للزركلي، ج: 6، ص: 126.

⁶⁸ - هو سعيد بن محمد بن محمد بن ذيب حوى، ولد سنة 1935م من حماة بالشام، أحد قيادات ومنظري الإخوان المسلمين، وتوفي سنة 1989م من مصنفاته الأساس في السنة وفقهها، الرسول صلى الله عليه وسلم، الإسلام وغير ذلك، انظر: تكملة معجم المؤلفين محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، ج: 1، ص: 211، بيروت لبنان، ط: 1، 1418هـ-1997م.

⁶⁹ - وهو الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي. ولد في بلدة دير عطية من نواحي دمشق سنة 1932م، وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية قدم المترجم مدينة دمشق سنة 1946م، وحصل على الشهادة العالية في الشريعة الإسلامية من كلية الشريعة بالأزهر تقدير ممتاز عام 1956م. من مؤلفاته: آثار الحرب في الفقه الإسلامي والتفسير المدير في العقيدة والشريعة والمنهج والتقسيم الوجيز وهو ذلك. ينظر: كتاب (وهبة الزحيلي العالم الفقيه المفسر)، الدكتور بديع الشيد اللحام، وهو الكتاب رقم (12) في سلسلة: اعتماء ومفكرون معاصرون، فحات من حياتهم وتعريف بمؤلفاهم)، دار القلم بدمشق: 2007/1422.

وكذلك الدكتور صبحي الصالح⁷⁰ في كتابه: مباحث في علوم القرآن كما كتب الشيخ مناع القطان باباً خاصاً في كتابه "مباحث في علوم القرآن" وسيد قطب⁷¹ في تفسيره في ظلال القرآن" وكتابته التصوير الفني في القرآن".

جهود علماء شبه القارة الهندية:

وقد قدم العلماء في شبه القارة الهندية جهوداً عظيمة في بيان المناسبات بين الآيات وبين السور وتطبيقها عملياً في تفاسيرهم، مثل حميد الدين الفراهي⁷² في كتابه: "نظام القرآن". والأستاذ أبو الأعلى المودودي⁷³ في تفسيره: "تفهم القرآن" والأستاذ أمين احسن اصلاحي⁷⁴ في تفسيره: تدبر القرآن" وغير ذلك من العلماء الذين بذلوا جهداً كبيراً وحققوا في كتبهم عن المناسبات من الآيات وبين السور.

⁷⁰ - هو الدكتور صبحي إبراهيم الصالح، عالم باحث كاتب داعية، ولد في طرابلس، عمل أستاذاً للإسلاميات وفقه اللغة في الجامعة اللبنانية، وعين عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة، توفي عام 1986م. من مؤلفاته: النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، مباحث في علوم القرآن، وغير ذلك ينظر: تكملة معجم المؤلفين، ج: 1، ص: 241، 242.

⁷¹ - هو سيد قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامي مصري، ولد (1324 - 1387 هـ / 1906 - 1967م) من مواليد قرية (موشا) في أسيوط. وعمل في جريدة الأهرام، وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها: النقد الأدبي، أصوله ومناهجه والعدالة الاجتماعية في الإسلام والتصوير الفني في القرآن ومشاهد القيامة في القرآن وانضم إلى الإخوان المسلمين ينظر الأعلام للزركلي، ج: 3، ص: 147.

⁷² : هو حميد الدين أبو أحمد عبد المحسن الأنصاري الفراهي. ولد سنة 1380هـ (1864م) تقريباً في قرية (فريها) ، من قرى مديرية (أعظم كره) بالهند، كتبته حول القرآن المجيد، وتأويله، وما سماه (النظام) وتوفي في التاسع عشر من جمادى الثانية من سنة 1349هـ / 1930م، في مدينة متهورا . ينظر : مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور للعادل بن محمد أبي العلاء، ص : 70، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1425هـ .

⁷³ - هو أبو الأعلى المودودي أو أبو العلاء المودودي (1321هـ - 1399هـ)، ولد بمدينة جيلي بورة القريبة من أرنج آباد في ولاية حيدر آباد بالهند . من مؤلفاته: الجهاد في الإسلام وتفهم القرآن وعقوبة المرتد في الإسلام ونظام الحياة في الإسلام وغير ذلك وتوفي يوم 22 سبتمبر 1979. انظر : كتاب " أبو الأعلى المودودي حياته وفكره العقدي"، للأستاذ محمد بن صادق الجمال بدون الناشر : دار المدني: 1406هـ.

⁷⁴ -هو أستاذ أمين احسن اصلاحي، ولد في (أعظم كره) با لهند سنة 1904م، وتوفي سنة 1997م ، وأسس مدرسة تدبر القرآن الحديث منة 1981، وأصدر مجلة ميثاق من مؤلفاته تدبر القرآن، تركية نفس حقيقت شرك وتوحيد، أقسام القرآن، وغيرها لك ينظر مبادئ تدبر قرآن للمولانا أمين أحسن إصلاحى ديباجه، ص: 13، لاهور باكستان، ط: 1996/1417هـ.

المبحث الرابع:

أنواع المناسبات

المناسبات على قسمين: المناسبة بين الآيات و المناسبة بين السور، كما قال
 الشيخ عادل: لعلم المناسبة مسألتان رئيستان: الأولى: النظر في التناسب بين السورة الواحدة. والثانية
 النظر في التناسب فيما بين السور بعضها وبعض.

وتتفرع عن هاتين المسألتين مسائل أخرى جزئية: ففيما يتعلق بالأولى منهما، ينظر في عدة
 مسائل منها مناسبة آيات السورة بعضها لبعض، ومناسبة خاتمتها لفاتحتها، ومناسبة تسميتها لموضوعها،
 ومناسبة موضوعاتها المتنوعة لمحورها العام وغرضها الرئيس. وفيما يتعلق بثنائيتها، ينظر في عدة مسائل
 أيضا منها المناسبة اللفظية بين السور، والمناسبة الموضوعية⁷⁵ ومناسبة الفواتح والخواتم فيما بينها". وعلى
 كل في هذا البحث سأتكلم عن نوعين رئيسيين من المناسبات.

وللمناسبات في القرآن نوعان:

النوع الأول: المناسبات في السورة الواحدة، ويتضمن أقساماً، منها:

أولاً: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها.

ثانياً: المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة.

ثالثاً: المناسبة بين الآية والآية التي تليها (الآيات المتجاورات).

النوع الثاني: المناسبات بين السور ويتضمن أقساماً منها:

أولاً: المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها.

ثانياً: مضمون السورتين المتجاورتين.

أمثلة في أنواع المناسبات:

النوع الأول: المناسبات في السورة الواحدة، و يتضمن أقساماً، منها:

⁷⁵ - مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور للشيخ عادل بن محمد ، ص: 19.

أولاً: المناسبة بين أول السورة وخاتمتها: نجد أن السورة تبدأ بآية وتنتهي بآية أخرى و تكون بينهما المناسبة سواء كانت الآية الأولى نزلت في مكة و الآية الأخيرة نزلت في مدينة. قال الشيخ الهروي في بيان المناسبة بين فاتحة السورة والإنسان وخاتمتها: وختم الله سبحانه السورة بالعذاب المعد يوم البعث والحشر ففيه حسن الاختتام لموافقته الابتداء على ما لا يخفى على أهل العقل والفهم⁷⁶.

ثانياً: المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة:

و قال الشيخ الأمين الهروي في بيان المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾⁷⁷ و﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾. صلة الموصول وجملة النداء مستأنفة، مسوقة لبيان حكم الاستئذان⁷⁸.

ثالثاً: المناسبة بين الآية والآية التي تليها (الآيات المتجاورات):

قال الشيخ الامين الهروي في بيان المناسبة بين الآيات في قوله تعالى: ﴿كَأَلَا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾⁷⁹ ﴿كَأَلَا﴾ هي للردع والزجر عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب، فيحسن الوقف عليه، فيستأنف بما بعدها، وقال أبو حاتم: إن ﴿كَأَلَا﴾ بمعنى: حقاً، فتكون متصلة بما بعدها على معنى حقاً ﴿كَأَلَا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ وجملة ﴿إِنَّ﴾ على الأول تعليل للردع، أي ازدجروا وكفوا ما أنتم عليه من التطفيف والغفلة عن الحساب والمجازاة، فإن الفجار سيحاسبون على أعمالهم، وقد أعد الله لهم كتاباً أحصى فيه أعمالهم، وكذا جميع ما يأتي، من ﴿كَأَلَا﴾ من هذه السورة⁸⁰.

النوع الثاني: المناسبات بين السور ويتضمن أقساماً منها:

أولاً : المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة التي قبلها:

⁷⁶ - تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للهري، ج: 30، ص: 511.

⁷⁷ - سورة النور، رقم الآية: 58.

⁷⁸ - تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الهري، ج: ١٩، ص: ١٤٩.

⁷⁹ - سورة المطففين: ٧.

⁸⁰ - حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الهري، ج: ٣١، ص: ٢٢٢.

قال الشيخ الهرري في بيان المنهسية بين فاتحة سورة الإنفطار و خاتمة سورة التكوير: "أن الكلام في السابقة في البحث عن أهوال يوم القيامة، وهذه أيضا، افتتحت بمثل ذلك ليتصل الكلام فيهما اتصال النظر بالنظر، والشبيه بالشبيه.

ثانياً: المناسبة بين مضمون السورتين المتجاورتين:

قال الشيخ الهرري في بيان المناسبة بين مضمون السورتين المتجاورتين: "أنّ في تلك أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأن يقرأ القرآن باسم ربه الذي خلق واسم الذي علم الإنسان ما لم يعلم، وفي هذه ذكر القرآن و نزوله وبيان فضله، وأنه من عند ربه في العظمة والسلطان العلم بمصالح الناس، وبما يسعدهم في دينهم ودنياهم و أنه أنزله في ليلة لها من الهلال و الكمال ما قصته السورة⁸¹.

⁸¹ - تفسير حقائق الروح والريحان في رواي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الهروي، ج: ٣٢، ص: ١٧٨.

75- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج:1ص:211.

76- البرهان في علوم القرآن للزركشي ج:1ص:236.

المبحث الخامس: مقدمات مهمة في علم المناسبات، وفيها مطلبان:

عندما نخوض في علم المناسبات نجد أن هناك قضايا مهمة تقوم على أساسها مسألة التناسب بين الآيات والسور هل هو توقيفي أم إجتهادي؟ نفصل القول عن هذه المسئلة في هذا المبحث -إن شاء الله-

المطلب الاول: قضية ترتيب آيات القرآن الكريم-

قضية التناسب بين الآيات في القرآن الكريم تقوم على أساس أمر آخر مهم وهو أن ترتيب الآيات في القرآن الكريم، هل هو توقيفي أم إجتهادي من الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة. نفصل هذه المسئلة قبل الدخول في البحث عن التناسب بين الآيات عند الشيخ.

والذي أجمعت عليه الأمة سلفا وخلفا أن ترتيب آيات القرآن الكريم هو نفس الترتيب الذي عليه المصاحف اليوم. كما ذكر السيوطي في الإتقان :

"الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لاشبهة في ذلك ⁸²"

ونقل الزركشي هذا الإجماع حيث قال :

"وهذا الترتيب كان منه -صلى الله عليه وسلم- بتوقيف لهم على ذلك ، وأن هذه الآية عقب تلك الآية، فثبت أن سعي الصحابة في جمعه في موضع واحد لا في ترتيب ، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب الذي هو في مصاحفنا الآن. ⁸³" وهو كان بتوقيف من النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه لا مجال للرأي والإجتهاد فيه ، فلم يجتهد أحد برأيه في وضع آية في سورها إلا بسماع من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. بل كان جبريل ينزل بالآيات على الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثم يرشده إلى موضع كل آية ثم يأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- كتاب الوحي بكتابة الآيات ثم يقرأها على الصحابة في الصلوات . فليس لأحد من النبي ولا الصحابة يد ولا تصرف في ترتيب شيء من القرآن . ويقوي هذا القول حديث ابن عباس -رضي الله عنه-

"أخبرنا محمد بن المثنى عن يحيى بن سعيد قال ثنا يزيد الفارسي قال: قال لنا ابن عباس: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُم أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ الْمِثَالِ فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَوَضَعْتُمُوهَا فِي السَّبْعِ الطَّوَالِ، فَمَا حَمَلَكُم عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ عُثْمَانُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ

⁸² - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج:1 ص:211.

⁸³ - البرهان في علوم القرآن للزركشي ج:1 ص:236.

عنده ،فَيَقُولُ: ضَعُوا هَذِهِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذَكَّرُ فِيهَا كَذًا وَكَذًا وَتَنْزِلُ عَلَيْهِ الْآيَاتُ فَيَقُولُ ضَعُوا هَذِهِ الْآيَاتُ فِي السُّورَةِ الَّتِي يَذَكَّرُ فِيهَا كَذًا وَكَذًا، وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أَنْزَلَ وَبَرَاءَةٌ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا ، وَقَبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ ثَمَّ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا بِسَطْرٍ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ⁸⁴

وأما قضية جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر وعثمان-رضي الله عنهما- فالجمع لم يتجاوز نقل القرآن من العُصْب إلى الصحف، ومن الصحف إلى المصاحف، وكلا الجمعين وفق الترتيب المحفوظ عن النبي ، من الله تعالى. ويُؤيد هذا القول الزركشي.

"وفي هذا إثبات ظاهر أن الصحابة جمعوا بين الدفتين القرآن المنزل ، من غير زيادة ولا نقص. والذي حملهم على جمعه ما جاء في الحديث أنه كان مفترقا في العُصْب والخاف وصدور الرجال، فخافوا ذهاب بعضه بذهاب حفظته، وكتبوه كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم، من غير أن قدموا شيئا أو أخرّوا."

والأدلة الأخرى التي تقوي هذا الإجماع :أولا :حديث زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- قال: "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، كنت أسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- يقرأ بها، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: "رجال صدقوا ما عاهدوا" (الأحزاب: 23) فألحقناها في سورتها في المصحف"⁸⁵ ثانيا: حديث عبد الله بن الزبير -رضي الله عنهما- قال: "قلت لعثمان بن عفان: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا" (البقرة:240) قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها قال: يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه."⁸⁶ ثالثا: مجيئ الناسخ قبل المنسوخ في السورة الواحدة: كما في قوله تعالى: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشر" (البقرة:234)، وقوله: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج" (البقرة:240)، فهذه منسوخه بالتي قبلها على قول الأكثرين، وهي تالية لها في ترتيب الآي، فلو كان الترتيب اجتهاديا من الصحابة؛ لأخروا الناسخ وقدموا المنسوخ

⁸⁴ - البرهان في علوم القرآن للزركشي ج:1ص:237.

⁸⁵ -أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن (4702): صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت حكمه الصحيح.

⁸⁶ -أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير ،سورة البقرة(4256) صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت.

،على القاعدة في هذه المسئلة. وبهذا قررنا أن القرآن على الترتيب التوقيفي من الرسول -صلى الله عليه وسلم -عن الله عز وجل وأسرار المناسبات بين الآيات من إعجاز القرآن الكريم.

المطلب الثاني: قضيه ترتيب سور القرآن الكريم

عند الدخول في مسألة الترابط بين السور في القرآن نواجه سؤالاً آخر وهو قضيه ترتيب سور القرآن الكريم، هل هو توقيفي بمعنى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر الصحابه بالترتيب السور أم اجتهادي بمعنى أن الصحابه رتبوا السور القرآنية باجتهادهم، قد نجد اختلاف الاراء بين العلماء في هذه القضية وفي ذلك قولان: الأول: أنّ ترتيب السور في القرآن كما هو في المصحف المتداول في أيدينا توقيفياً من النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبره جبريل وهو ترتيب مصحف عثمان⁸⁷ الذي لم يتنازع أحد من الصحابه فيه وهذا يدل على عدم المخالفه والإجماع عليه. وذهب اليه أبو بكر الأنباري كما ذكر قوله السيوطي: "أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقهم في بضع وعشرين فكانت السوره تنزل لأمر يحدث والآية جواباً لمستخبر ويوقف جبريل النبي صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسوره فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلها عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قدم سورة أو أخرها فقد أفسد نظم القرآن." ⁸⁸ والدليل على هذا القول هو الحديث الذي رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"⁸⁹، فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها.

وقال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ضعوا آية كذا في موضع كذا" وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف"⁹⁰.

⁸⁷ -مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ج: 1، ص: 142.

⁸⁸ -الإتقان في علوم القرآن لسيطي، ج: 1، ص: 217.

⁸⁹ -أخرجه البخاري في صحيحه، باب تأليف القرآن، ج: 6، ص: 184. رقم الحديث: 4994، حكمه

الصحيح.

⁹⁰ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج: 1، ص: 216.

الثاني: أن ترتيب السور في القرآن كما هو عندنا تولته الصحابة وهو من اجتهادهم كما نقل السيوطي عن ابن فارس : "جمع القرآن على ضربين: أحدهما تاليف السور كتقدم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذي تولته الصحابة وإما الجمع الآخر وهو جمع الآيات في السور فهو توقيفي تولاه النبي -صلى الله عليه وسلم- كما أخبر به جبريل عن أمر ربه. "91 والدليل عندهم هو اختلاف مصاحف الصحابة فمصحف "علي" كان مرتباً على النزول، أوله :اقرا: ثم المدثر :ثم نون والقلم :ثم المزمّل :وهكذا.... إلى آخر المكي والمدني وكان أول مصحف بن مسعود: البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران .وأول مصحف أبي: الفاتحة، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران،92 رد الدكتور مصطفى مسلم على هذا الرأي .وقال: " وهذا لا حجة فيه لهم لأن مصاحف الصحابة كانت مصاحف شخصية لم يحاولوا أن يلزموا بها أحدا ولم يدعوا أن مخالفتها محرمة. والمرء قد يكتب لنفسه مصحفاً أو سوراً معينة يخشى من إلتباس الأمر فيها نسياناً أو غير ذلك. فيكتب بطريقة التي يشاء وهذا ما يفسر لنا القول بأن بعض الصحابة لم يكتب في مصحفه المعوذتين وأن بعضهم كان قد كتب في مصحف سورة الخلع والحفد المنسوخة كأبي بن كعب .ولهذا لما اجتمعت الأمة على ترتيب عثمان أخذوا به وتركوا مصاحفهم الشخصية، ولو كانوا يرون أن ترتيب المصحف اجتهادي لدعوا إلى التمسك بترتيبهم الخاص ولم يتنازلوا عنه. "93

وقال السيوطي ما يؤيد هذا الرأي:

و"مما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء وكذا الطواسين ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين صورها وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص "94

النتيجة:

بعد دراسة كلا الرأيين ،وصلنا إلى أن الرأي الثاني لا يعتمد على دليل قوي ورد العلماء كما فعل الأستاذ مصطفى مسلم كما سبق والشيخ مناع القطان95. وبهذا يترجح أن ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات.

91-الإتقان في علوم القرآن لسيوطي، ج:1، ص:216.

92-مباحث في علوم القرآن لمناع القطان، ج:1، ص:143.

93-مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ج:1، ص:79.

94-الإتقان، ج:1، ص:19.

الفصل الثاني

اهتمام الشيخ أسيد الله -رحمه الله- ببيان المناسبات بين الآيات

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: بيانه للمناسبات في الآية الواحدة،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيانه للمناسبات بين الكلمات في الآية الواحدة.

المطلب الثاني: بيانه للمناسبات بين الجمل في الآية الواحدة.

المبحث الثاني: بيانه للمناسبات بين مجموعة من الآيات،

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيانه للمناسبات بين الآية والآية.

المطلب الثاني: بيانه للمناسبات بين فاتحة السورة وخاتمتها.

المبحث الأول: بيانه للمناسبات في الآية الواحدة:

من وجوه الإعجاز القرآني أن الله سبحانه وتعالى ألّف القرآن تأليفا خاصا بحيث أن كل كلمة في القرآن الكريم في أحسن موضعه، وأدق ترتيبه، قد أطال المفسرون القول لهذا الوجه من الإعجاز في تفاسيرهم في هذا المبحث.

وأنا أناقش حرص الشيخ أسيد الله -رحمه الله- لبيان المناسبات في الآية الواحدة، وهي المناسبة بين الكلمات في الآية الواحدة من باب التقديم والتأخير، ثم المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة، وهي باعتبار العطف.

المطلب الأول: بيانه للمناسبات بين الكلمات في الآية الواحدة:

- بيانه لأسرار التقديم والتأخير:

المطلب الثاني: بيانه للمناسبات بين الجمل في الآية الواحدة:

- المناسبة بين الجمل باعتبار العطف.

المطلب الأول: اهتمام الشيخ ببيان التناسب بين الكلمات في الآية الواحدة:

قبل الخوض في أصل المسئلة نذكر تحقيق الكلمة لغة واصطلاحاً،

فالكلمة في اللغة: اللفظة... وجمعها كلم⁹⁶.

"قال أبو منصور: والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكمالها وخطبة بأسرها"⁹⁷.

والكلمة في الاصطلاح عند الجرجاني:

"الكلمة: هو اللفظ الموضوع لمعنى مفرد، وهي عند أهل الحق: ما يكفى به عن كل واحدة من الماهيات والأعيان بالكلمة المعنوية، والغيبية، والخارجية بالكلمة الوجودية، والمجردات بالمفارقات"⁹⁸.

وعند العلامة الزركشي:

"وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين، مثل: ما ولي وله ولك. وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل: {ليستخلفنهم} و: {أنلزمكموها} و {فأسقيناكموه}. وقد تكون الكلمة آية مثل: {والفجر}، {والضحى}، {والعصر}⁹⁹.

بعد معرفة الكلمة لغة واصطلاحاً، ننتقل إلى منهج الشيخ أسيد الله في بيان التناسب بين

الكلمات في الآية الواحدة من خلال تفسيره:

بيانه لأسرار التقديم والتأخير:

التقديم والتأخير في التركيب ليس عبثاً، بل هو باب واسع من أبواب البلاغة، وهو من أعظم خصائص اللغة العربية بحيث لا يتقدم لفظٌ ولا يتأخر في كلام العرب إلا لحكمة دقيقة ومقصد بلاغي مقصود. وهذا الباب يكشف عن دقائق المعاني ويبرز جوانب الاهتمام، أو يوحى بأسرار خفية من التشويق، أو الاختصاص، أو الحصر. وقد اعتنى علماء البلاغة بهذا الفن عنايةً عظيمة، فعُدّوه من دلائل الإعجاز القرآني، ومن مظاهر البيان العربي. ودراسة أسرار التقديم والتأخير تُعين على فهم النصوص فهماً أعمق، وتُظهر براعة النظم في توجيه الأذهان وإثارة العواطف، مما يجعلنا أمام عالمٍ بديعٍ من الإعجاز البلاغي. وإليكم بعض الأمثلة من تفسير الشيخ أسيد الله رحمه الله:

96: لسان العرب لابن منظور، ج: 12، ص: 553.

97: لسان العرب لابن منظور، ج: 12، ص: 524.

98: كتاب التعريفات للجرجاني، ج: 1، ص: 185.

99: البرهان للزركشي، ج: 1، ص: 268.

المثال الأول :

يبين الشيخ أسيد الله -رحمه الله- سر تقديم كلمة "إياه" على "تعبدون" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾¹⁰⁰. عند تفسير هذه الجملة (إن كنتم إياه تعبدون).

يقول: "إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر"، أي: إن كنتم حقًا تعبدون الله وحده لا شريك له، فعليكم أن تُطهروا من مظاهر الشرك أعمالكم، وتقيموا الدليل العملي على صدق توحيدكم"¹⁰¹.
وقد جاء كلام الشيخ أسيد الله موافقًا لما قرره الشيخ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي في تفسيره "اللباب في علوم الكتاب" حيث قال: قوله: «إِنْ كُنتُمْ» شرط، وجوابه محذوف، أي: فاشكروا له، وقول من قال من الكوفيّين: إِنَّهَا بِمَعْنَى «إِذْ» ضعيف، و «إِيَّاهُ» : مفعولٌ مقدّم؛ ليفيد الاختصاص،¹⁰²

وهذا عين ما أشار إليه الإمام النسفي في تفسيره "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" غير أنه لم يصرح بالقاعدة وإنما عبر عنها بالمعنى حيث قال: {إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} إن صح أنكم تختصونه بالعبادة وتقرون أنه معطى النعم.¹⁰³

ويلاحظ أن ما ذكره الشيخ أسيد الله يلتقي مع ما أورده الإمام ناصر الدين أبوسعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي في تفسيره "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" وإن لم ينص على القاعدة صراحة بل أشار إليها بطريق المعنى- حيث قال: إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إن صح أنكم تخصونه بالعبادة، وتقرون أنه مولى النعم،¹⁰⁴.

المثال الثاني:

يبين الشيخ أسيد الله -رحمه الله- سر تقديم الكلمة على الأخرى في قوله تعالى: ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا

100: [البقرة: 172].

101: رشد القرآن، ج: 1، ص: 294.

102: اللباب في علوم الكتاب ج: 3، ص: 169.

103: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج: 1، ص: 151.

104: تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج: 1، ص: 119.

وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ»¹⁰⁵، عند تفسير هذه الجملة ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فيقول إن تقدم كلمة "لها"، وكلمة "عليها" يفيد الحصر؛ أي لا يعود نفع العمل الصالح إلا عليها، ولا يعود وزر العمل السيء إلا عليها.

وهذا عين ما أشار إليه الشيخ عبد السلام الرستمي في تفسيره "أحسن الكلام" حيث قال: وفي كلتا الجملتين جيء بـ (لها) و(عليها) للتخصيص، ففي الأولى ردٌّ على الشفاعة الشريكية، وفي الثانية موافقة لقوله تعالى: (ولا تزر وازرة وزر أخرى)¹⁰⁶.

كما يفهم من كلام الشيخ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليميني ما يوافق تقرير الشيخ أسيد الله، وإن لم يورد القاعدة بصريحها، بل أبان عنها بعبارة أخرى، حيث قال في تفسيره "فتح القدير" قوله: لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ فِيهِ تَرْغِيبٌ وَتَرْهِيْبٌ، أَي: لَهَا ثَوَابٌ مَا كَسَبَتْ مِنَ الْخَيْرِ، وَعَلَيْهَا وَزْرٌ مَا اكْتَسَبَتْ مِنَ الشَّرِّ، وَتَقَدَّمَ «لَهَا وَعَلَيْهَا» عَلَى الْفِعْلَيْنِ لِإِفْيَادِ أَنَّ ذَلِكَ لَهَا لَا لِغَيْرِهَا، وَعَلَيْهَا لَا عَلَى غَيْرِهَا،¹⁰⁷

الفائدة:

قُدِّمَت اللام مع ذكر الحسنات للدلالة على النفع، مما يشير إلى أن الحسنات نافعة في الدنيا والآخرة، ودُكِّرَت «على» مع ذكر السيئات للدلالة على الضرر، مما يشير إلى أن المعصية فيها ضرر في الدنيا والآخرة.

كذلك، دُكِّرَ الفعل "كسبت" مع الحسنات بصيغة المجرد، مما يشير إلى أن فعل الحسنات لا تكلف فيه، ودُكِّرَ الفعل "اكتسبت" مع السيئات بصيغة المزيد، مما يدل على وجود تكلف في فعل السيئات؛ لأن السيئات مخالفة للفطرة ولأمر الله تعالى¹⁰⁸.

وقد قرر هذه القاعدة العلامة الزمخشري أيضا حيث قال: فإن قلت: لم خص الخير بالكسب، والشر بالاكتساب؟ قلت: في الاكتساب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه

105: سورة بقرة: 286.

106: أحسن الكلام للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرستمي، ج: 2، ص: 404.

107: فتح القدير للشوكاني، ج: 1، ص: 353.

108: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ج: 1، ص: 332.

وأمانة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتماد.¹⁰⁹

المثال الثالث:

يبين الشيخ أسيد الله -رحمه الله- سر تقديم الكلمة على الأخرى في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾¹¹⁰، عند قوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾. فيقول: وقد قُدمت كلمة "عنده"، وهو الخبر، على المبتدأ، وهو "مفاتيح الغيب" لإفادة الحصر والاختصاص.

والمعنى: لا توجد مفاتيح الغيب إلا عنده سبحانه وتعالى، فهو العالم وحده بما غاب وخفي، دون سواه من الخلق، وهذا من أعظم الأدلة على توحيده سبحانه في العلم¹¹¹ وهذا ما نجدّه أيضاً عند الإمام الرازي حيث قال: "قَوْلُهُ تَعَالَى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ تَعَالَى مُنَزَّهًا عَنِ الضَّدِّ وَالنَّدِّ وَتَقْرِيرُهُ: أَنَّ قَوْلَهُ: وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ يُفِيدُ الْحَصْرَ، أَيْ عِنْدَهُ لَا عِنْدَ غَيْرِهِ. وَلَوْ حَصَلَ مَوْجُودٌ آخَرُ وَاجِبُ الْوُجُودِ لَكَانَ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ حَاصِلَةً أَيْضًا عِنْدَ ذَلِكَ الْآخَرِ، وَحِينَئِذٍ يَبْطُلُ الْحَصْرُ."¹¹²

وهذا عين ما أشار إليه العلامة محمد ثناء الله المظهري في تفسيره "التفسير المظهري" حيث قال: وَعِنْدَهُ تَعَالَى دون عند غيره يستفاد الحصر من تقديم الظرف مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ مفتاح جمع مفتاح بفتح الميم وهو المخزن أو جمع مفتاح بكسر الميم بمعنى المفتاح وهو ما يتوصل به الى شيء مغلق والمراد بمفتاح الغيب علمه فان بالعلم يدرك المعلوم كانه وصلة والمراد بالغيب ما لم يوجد بعد كاخبار المعاد ومن هذا القبيل ان المطر هل ينزل او لا ومتى ينزل ومنه ما تكسب نفس غدا وانه باى ارض تموت او وجد ولم يظهر الله تعالى على أحد ومنه ما في الأرحام.¹¹³

وقد وافقه العلامة محمد طاهر بن عاشور حيث قال في تفسيره "التحرير والتنوير" حيث قال:

109: رشد القرآن ج 1، ص: 437.

110: الأنعام: 59.

111: رشد القرآن ج 2، ص: 407.

112: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ج: 13، ص: 12.

113: التفسير المظهري ج: 3، ص: 244.

وَهَذَا انْتِقَالٌ لِيَبَانَ اخْتِصَاصُهُ تَعَالَى بِعِلْمِ الْغَيْبِ وَسَعَةِ عِلْمِهِ ثُمَّ سَعَةِ قُدْرَتِهِ وَأَنَّ الْخَلْقَ فِي قَبْضَةِ قُدْرَتِهِ. وَتَقْدِيمُ الظَّرْفِ لِإِفَادَةِ الْإِخْتِصَاصِ، أَيْ عِنْدَهُ لَا عِنْدَ غَيْرِهِ. وَالْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ عِلْمٍ وَاسْتِثْنَاءٍ وَلَيْسَتْ عِنْدِيَّةَ مَكَانٍ.¹¹⁴

المثال الرابع:

يبين الشيخ أسيد الله - رحمه الله - سر تقديم الكلمة على الأخرى في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾¹¹⁵، فيقول: إِنَّ قول الله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ في هذه الآية الكريمة هو في محل نصب على أنه المفعول الأول للفعل: ﴿جَعَلْنَا﴾، وأما المفعول الثاني فهو كلمة ﴿عَدُوًّا﴾، أي أَنَّ الله تعالى جعل شياطين الإنس والجن أعداءً للأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم. ولكن قدم المفعول الثاني "عدوا" على المفعول الأول ﴿شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ لغاية بلاغية، وهي بيان سرعة المبادرة في العداوة، أي أنهم يبادرون بالعداوة منذ البداية، ويسارعون إليها بلا تردد، كاشفين بذلك عن نواياهم الخبيثة وعدائهم العميق¹¹⁶

1-- وقد ورد نظير هذا عند الشيخ محمد أمين الهروي في تفسيره "حداائق الروح والريحان في روابي القرآن" حيث قال: ويجوز أن يكون: عَدُوًّا منصوبا على أنه مفعول ثان قدم مسارعة إلى بيان العداوة، والمعنى: وكذلك جعلنا شياطين الإنس والجن أعداء لكل نبي.¹¹⁷

المثال الخامس:

يبين الشيخ أسيد الله رحمه الله سر تقديم كلمة "العزیز" على كلمة "الرحيم" في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾¹¹⁸. فيقول: وقد جاء وصف ﴿العزیز﴾ في هذه الآية في مقام العلة المصححة للأمر بالتوكل، أي أن الله عزیز لا يُغلب، فمن توكل عليه كان في عزته وقوته، فيطمئن قلب المؤمن؛ لأنه في حماية القوي الغالب، وأما وصف ﴿الرحيم﴾ فقد جاء في مقام العلة الداعية إلى التوكل، أي أن الله بعباده رحيم، يدعوهم إلى التوكل عليه بما فيه رحمتهم ومصلحتهم، فلما كانت العلة المصححة أقوى وأولى بالتقديم، قدم الله تعالى وصف ﴿العزیز﴾ على ﴿الرحيم﴾ في هذه الآية الكريمة،

114: التحرير والتنوير ج:7، ص:270

115: الشعراء: 217.

116: رشد القرآن ج 2، ص: 460.

117: تفسير حداائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ج:9، ص:13

118: البقرة: 286.

ليان أن الغلبة والقوة هي الأساس الذي يُبنى عليه التوكل، ثم تأتي الرحمة تبعث في النفس السكينة والطمأنينة¹¹⁹.

ومثل هذا أورده العلامة الآلوسي في تفسيره " تفسير روح المعاني " حيث قال: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ فهو سبحانه يقهر من يعصيك منهم ومن غيرهم بعزته وينصرك برحمته، وتقدم وصف العزة قيل لأنه أوفق بمقام التسلي عن المشاق اللاحقة من القوم إليه صَلَّى الله عليه وسلّم، وجوز أن يكون ذلك لأن العزة كالعلة المصححة للتوكل والرحمة كالعلة الداعية إليه¹²⁰.

المثال السادس:

يبين الشيخ أسيد الله - رحمه الله - سرتقدم الكلمة على الأخرى في هذه الآية: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾¹²¹. يقول: في تقدم العلو على الفساد إشارة إلى أن الكبر غالباً ما يكون سبباً في كثير من المعاصي المتعدية¹²².
1-- وهذا ماقرره الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر" حيث قال: {علو} أي شيئاً من العلو {في الأرض} فإنه أعظم جازاً إلى الفساد،¹²³.

المثال السابع:

يبين الشيخ أسيد الله رحمه الله سر تقدم كلمة ﴿اغْفِرْ﴾ على كلمة ﴿ارْحَمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾¹²⁴. فيقول: وحذف المفعول في كلمتي "المغفرة" و"الرحمة"؛ لإفادة الشمول والعموم، أي: لتدل هاتان الكلمتان على كل ما يمكن أن يشملهما معناه من المعاني والمضامين، دون قيد بمغفرة ذنب معين أو رحمة خاصة، بل لتعم المغفرة جميع أنواع الذنوب والسيئات، والرحمة جميع أقسام النعم والخيرات. ففي ذكر "المغفرة" دلالة على دفع كل مضرة وضرر، سواء كان ضرراً دنيوياً أو أخروياً، معنوياً أو مادياً، كبيراً أو صغيراً، فالمغفرة تطلب إزالة كل ما يسوء العبد ويؤذيه. وأما ذكر "الرحمة"، ففيه إشارة إلى جلب كل منفعة وخير، من أي نوع كان، سواء كان

119: رشد القرآن ج 5، ص: 248.

120: تفسير الآلوسي، روح المعاني، ج: 10، ص: 134.

121: القصص: 83.

122: رشد القرآن ج 5، ص: 464.

123: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج: 14، ص: 372.

124: المؤمنون: 118.

نفعًا في الدين أو الدنيا ، في المال أو في النفس أو في الأحوال، فالمعنى فيها شامل لكل ما يُسعد الإنسان ويُقرّ عينه.

ومع ذلك، فإن في طلب المغفرة إشارة إلى التحلي عن الرذائل والقبائح، التي تُبعد العبد عن ربه وتُفسد النفس، وأما في طلب الرحمة فإشارة إلى التحلي بالفضائل والمحاسن، التي تُطهر القلب وتُقرّب العبد إلى مرضاة الله. وجاء الترتيب من هذا الباب في الذكر، حيث قُدّم طلب المغفرة على طلب الرحمة، لأن التحلي مقدّم في الترتيب العقلي على التحلي؛ إذ لا يُمكن للعبد أن يتزَيّن بالفضائل قبل أن يتطهّر من الرذائل.

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطلب المغفرة، مع أن النبي يكون معصومًا من الذنوب والخطايا، لا لأن النبي محتاجًا إلى ذلك من جهة التقصير، بل لأجل طلب مزيد من المراتب العالية والمقامات الرفيعة، فإن مقامات القرب لا نهاية لها، وكلما ارتقى العبد في منازل العبودية، ازداد استغفاره وطلبه للمغفرة، كما أن في ذلك الأمر للنبي صلى الله عليه وسلم تعليمًا لأمته وتوجيهًا لهم إلى الاقتداء به؛ لأن النبي هو القدوة والأسوة، فإذا استغفر وطلب الرحمة، فأولى بأمته أن يداوموا على هذا الطلب، رجاءً للمغفرة والرحمة من ربه الكريم¹²⁵.

وهذا عين ما أشار إليه العلامة محمد ثناء الله المظهري في تفسيره "التفسير المظهري" بالاختصار حيث قال: جملة أنت خير الراحمين حال من فاعل ارحم وحذف المفعول من اغفروا رحم لتعميم الدعاء بالمغفرة متكفل لسلب جميع المضرات وبالرحمة لجلب جميع المنافع.¹²⁶



125: رشد القرآن ج 4، ص: 753

126: التفسير المظهري ج: 6، ص: 412

المطلب الثاني: اهتمام الشيخ ببيان التناسب بين الجمل في الآية الواحدة:

في هذا الباب سنتكلم عن حرص الشيخ لبيان التناسب بين الجمل في الآية الواحدة، لكن قبل أن نخوض في هذا الباب، نذكر تعريف الجملة لغة واصطلاحاً.

الجملة لغة:

"والجملة: واحدة الجمل. والجملة: جماعة الشيء. وأجمل الشيء: جمعه عن تفرقة؛ وأجمل له الحساب كذلك. والجملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. يقال: أجملت له الحساب والكلام؛ قال الله تعالى: "لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة"¹²⁷.

واصطلاحاً:

"الجملة: عبارة عن مركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، سواء أفاد؛ كقولك: زيد قائم، أو لم يفد؛ كقولك: إن يكرمني؛ فإنه جملة لا تفيد إلا بعد مجيء جوابه؛ فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً"¹²⁸.

والشيخ أسيد الله رحمه الله اهتم ببيان المناسبات بين الجمل في الآية الواحدة، بيانه للمناسبات بين الجمل في الآية الواحدة. وهو بإعتبار العطف.

المثال الأول:

يربط الشيخ أسيد الله . رحمه الله -الجملة- "أوتفرضوا لمن فريضة" بما قبلها فيقول: أوتفرضوا لمن فريضة "عطف على "ما لم تمسوهن" فهو داخل تحت نفي "لم أي لم تفرضوا لمن.

وقد وافقه الشيخ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي في تفسيره حيث قال : {أَوْ تَفَرِّضُوا} فيه أربعة أوجه:

أحدها: أنه مجزوم عطفاً على «تَمَسُّوهُنَّ»¹²⁹، يعني هو داخل تحت نفي "أي لم تفرضوا لمن" كما أشار إليه الشيخ عبد السلام الرستمي في تفسيره "أحسن الكلام" حيث قال: أَوْ تَفَرِّضُوا هُنَّ فَرِيضَةٌ عاطفة على تَمَسُّوهُنَّ الْمَنَفِيِّ،¹³⁰

127: لسان العرب لابن منظور، ج: 11، ص: 128.

128: كتاب التعريفات للجرجاني، ج: 1، ص: 78.

129: اللباب في علوم الكتاب ج: 4، ص: 208.

130: أحسن الكلام للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرستمي، ج: 2، ص: 216.

3--وزاد الأمر وضوحاً ما أورده العلامة محمد طاهر بن عاشور حيث قال في تفسيره "التحرير والتنوير" حيث قال:

وَ (أَوْ) فِي قَوْلِهِ: أَوْ تَفَرِّضُوا لَهْنًا فَرِيضَةً عَاطِفَةً عَلَى تَمَسُّوهُنَّ الْمَنَفِيِّ، وَ (أَوْ) إِذَا وَقَعَتْ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ تُفِيدُ مُفَادَ وَائِ الْعَطْفِ فَتَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوقِ عَلَيْهِ مَعًا، وَلَا تُفِيدُ الْمَفَادَ الَّذِي تُفِيدُهُ فِي الْإِثْبَاتِ، وَهُوَ كَوْنُ الْحُكْمِ لِأَحَدِ الْمُتَعَاظِفَيْنِ، ثَبَّةً عَلَى ذَلِكَ الشَّيْخِ ابْنِ الْحَاجِبِ فِي «أَمَالِيهِ» وَصَرَّحَ بِهِ التَّفْتَّازِيُّ فِي «شَرْحِ الْكَشَّافِ»، وَقَالَ الطَّبَّيُّ: إِنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْ كَلَامِ الرَّاعِبِ، وَهُوَ التَّحْقِيقُ لِأَنَّ مُفَادَ «أَوْ» فِي الْإِثْبَاتِ نَظِيرُ مُفَادِ النَّكِرَةِ وَهُوَ الْفَرْدُ الْمُبْهَمُ، فَإِذَا دَخَلَ النَّفْيُ اسْتَلْزَمَ نَفْيَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا،¹³¹

المثال الثاني:

يربط الشيخ أسيد الله رحمه الله في هذه الآية: ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْعَمُوا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾¹³². جملة "ومن تاب معك" بما قبلها فيقول: "جملة "ومن تاب معك" معطوفة على ضمير مستتر مرفوع في جملة "فاستقم كما أمرت"، ولم يؤكد الضمير بضمير منفصل؛ لأنه قد حصل الفصل هنا، فصار التأكيد غير لازم. ولما كان الصحابة وسائر الأمة لا يلتحقون بالنبي الكريم تمام الالتحاق في الاستقامة، ذكروا بطريق العطف استقلالاً".

1--ويشهد لهذا ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" حيث قال: وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَفِيهِ مَسَائِلُ:

الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: قَالَ الْوَاحِدِيُّ: مَنْ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ مِنْ وَجْهِهِ: الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمُسْتَتِرِ فِي قَوْلِهِ: فَاسْتَقِمَّ وَأَغْنَى الْوَصْلُ بِالْجَارِّ عَنْ تَأْكِيدِهِ بِضَمِيرِ الْمُتَّصِلِ فِي صِحَّةِ الْعَطْفِ أَيْ فَاسْتَقِمَّ أَنْتَ وَهُمْ-¹³³.

2--ومما يؤكد ذلك ما أورده العلامة محمد طاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" حيث قال: وَمَنْ تَابَ عَطْفَ عَلَى الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ فِي أَمْرٍ. وَمُصَحَّحُ الْعَطْفِ مَوْجُودٌ وَهُوَ الْفَصْلُ بِالْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ.¹³⁴

131: التحرير والتنوير ج:2، ص:458

132: [القصص: 83].

133: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ج:18، ص:406

134: التحرير والتنوير، ج:12، ص:176.

3--وقد عبر عن معنى نفسه الشيخ أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي في تفسيره حيث قال : والثاني: أنه مرفوعٌ فإنه نسقٌ على المستتر في «استقم» ، وأعني الفصل الجار عن تأكيده بضميرٍ منفصل في صحّة العطف، وقد تقدّم هذا البحث في قوله: {اسكن أنت وزوجك} [البقرة: 25] ، وأنّ الصحيح أنّه من عطف الجمل لا من عطف المفردات، ولذلك قدره الزمخشري فاستقم أنت، وليستقم من تاب معك، فقدّر الرفع له فعلاً لا ثَقاً برفعه الظاهر.¹³⁵

4--وتبعه الإمام النسفي في تفسيره "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" حيث قال: {وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} معطوف على المستتر في استقم وجاز للفصل يعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع إلى الله مخلصاً {وَلَا تَطْعَوْا} ولا تخرجوا عن حدود الله {إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}¹³⁶

المثال الثالث:

يربط الشيخ أسيد الله -رحمه الله- في هذه الآية: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَشُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾¹³⁷، جملة "ومن اتبعني" بما قبلها، حيث فصل القول فيها تفصيلاً دقيقاً، حيث يوضح أن لفظة "أنا" هنا إنما جاءت لتأكيد الضمير المرفوع المتصل المستتر في الفعل: "أدعو"، وهو ضمير يعود إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ف"أنا" تأكيد لفظي لذلك الضمير الفاعل.

ثم يتابع في بيان العلاقة النحوية في الجملة فيقول: إن جملة "ومن اتبعني" معطوفة على ذلك الضمير المرفوع المتصل، الذي هو في الأصل فاعل لفعل الدعوة، أي أن من اتبع النبي صلى الله عليه وسلم داخلٌ معه في هذه المسئلة العظيمة، وهي الدعوة إلى الله على بصيرة. ومن القواعد المعروفة أن المعطوف على الفاعل يأخذ حكمه في الإعراب والدلالة، فيكون فاعلاً أيضاً.

ولكن مع ذلك، يُشير الشيخ -رحمه الله- إلى أن "من اتبعني"، وإن لم يكن صالحاً أن يكون فاعلاً مستقلاً للفعل "أدعو" من حيث التركيب اللفظي وحده، إلا أن في الآية أسلوباً بديعاً يُعرف بالتغليب، حيث غُلب المتكلم -وهو النبي صلى الله عليه وسلم- على غيره، أي على من اتبعه من الدعاة إلى الله، وذلك لأهمية مكانته وصدارة مقامه في تبليغ الرسالة.

ثم يُلَفِت الشيخ النظر إلى معنى عميق يستفاد من هذا التركيب، وهو أن في هذا العطف ما يدل على نوع من الاتحاد والاتحام بين النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه في منهج الدعوة، فهم لا

135: الباب في علوم الكتاب، ج:10، ص:589

136: مدارك التنزيل وحقائق التأويل ج:2، ص:87

137: يوسف: 108.

يدعون إلى شيء من عند أنفسهم، وإنما دعوتهم امتداداً لدعوته، وطريقتهم فرع عن طريقته، فكأنهم جميعاً، وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدعون بدعوة واحدة موحدة، فقال: "أي أن دعوة التابع هي بعينها دعوة المتكلم، أي دعوتي أنا"، فليس هناك اختلاف في الوجهة ولا في الغاية، وإنما هي وحدة الدعوة ووحدة المنهج"¹³⁸.

1-- و يؤكد هذا ماقرره الإمام النسفي في تفسيره "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" حيث قال: {قُلْ هذه سَبِيلِي} هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله {أدعو إلى الله على بَصِيرَةٍ} أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء {أَنَا} تأكيد للمستتر في أدعو {وَمَنْ اتَّبَعْنِي} عطف عليه أي أدعو إلى سبيل الله أنا ويدعو إليه من اتبعني.¹³⁹

2-- ومما يقوي ذلك ماأورده العلامة الزمخشري أيضا حيث قال:

هذه سَبِيلِي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي. والسبيل والطريق: يذكران ويؤنثان، ثم فسر سبيله بقوله أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أى أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء. وَأَنَا تأكيد للمستتر في أَدْعُوا. وَمَنْ اتَّبَعْنِي عطف عليه. يريد: أدعو إليها أنا، ويدعو إليها من اتبعني.¹⁴⁰

3-- وقد قرر نفس المعنى الشيخ أبوحفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي في تفسيره حيث قال: قوله {وَمَنْ اتَّبَعْنِي} عطف عليه، أي: على فاعل «أَدْعُوا» ولذلك أكد بالضمير المنفصل،¹⁴¹.

المثال الرابع:

يربط الشيخ أسيد الله رحمه الله في هذه الآية: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾¹⁴²، جملة "ويكشف السوء" بما قبلها، فيقول: جملة "ويكشف السوء" معطوفة على جملة "يجيب المضطر"، ويُعدّ هذا من قبيل عطف العام على الخاص؛ وذلك لأن إجابة المضطر أمر خاص، يختص بحالة معينة وهي حالة الاضطرار، وكشف السوء

138: رشد القرآن، ج: 3، ص: 447.

139: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج: 2، ص: 138.

140: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ج: 2، ص: 508

141: الباب في علوم الكتاب، ج: 11، ص: 224

142: النمل: 62.

أعمّ وأشمل؛ إذ يعم كل من نزل به سوء أو أذى، سواء كان في حالة الاضطراب أو في غيرها، فالمكشوف عنه قد يكون إنساناً مضطرباً، كما قد يكون في حال غير اضطراب، مما يدل على أنّ كشف السوء أوسع دائرة من إجابة المضطر، ولذلك جاء العطف هنا من باب عطف الخاص على العام، لتأكيد العناية الإلهية بالحالات الخاصة والعامّة على السواء¹⁴³.

1-- ومثل هذا أورده العلامة الآلوسي في تفسيره " تفسير روح المعاني " حيث قال: وَيَكْشِفُ السُّوءَ أَي يرفع عن الإنسان ما يعتريه من الأمر الذي يسوءه، وقيل: الكشف أعم من الدفع والرفع، وعطف هذه الجملة على ما قبلها من قبيل عطف العام على الخاص،¹⁴⁴

المثال الخامس:

يربط الشيخ أسيد الله رحمه الله في هذه الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾¹⁴⁵، جملة "ثم يعيده" بما قبلها، فيقول: جملة "ثم يعيده" معطوفة على جملة "أولم يروا"، وليست هي معطوفة على قوله تعالى: "كيف يبدئ الله الخلق"، كما يظنه البعض. فهذا الفهم الأخير غير صحيح؛ إذ لو كانت الجملة "ثم يعيده" واقعة في سياق العطف على "كيف يبدئ الله الخلق" لاقترض ذلك أن تكون داخلية تحت مظلة الرؤية في قوله: "أولم يروا"، سواء أكانت هذه الرؤية بصرية أم علمية قلبية، وهذا من حيث المعنى غير مستقيم.

وبيان ذلك: أنه إن كان المراد من الرؤية المذكورة في الآية هو الرؤية البصرية، فإن إعادة الخلق لا تُشاهد بالأبصار؛ لأنها أمر غيبي لم يقع بعد، فكيف يُطلب من الناس أن يُبصروا ما لم يحدث؟ وهذا ممتنع عقلاً وعادة. وإن فُسرت الرؤية هنا بأنها علم قلبي أو إدراك معرفي داخلي، أي أن المراد هو المعرفة القلبية أو العلمية، فإن هذا التفسير أيضاً لا يستقيم؛ إذ يُفهم منه حينئذ أن إعادة الخلق أمرٌ معلوم مسبقاً عند المخاطبين، أي أنه قد تقرر لديهم علماً، وعندها لا يكون في ذكره فائدة جديدة، بل يكون الأمر من باب تحصيل الحاصل، وهو غير المراد.

والصحيح أن الإعادة لم تكن معلومة لهم من قبل، بل المطلوب إثباتها لهم من خلال عرض الدليل العقلي عليها، وهو قياس الإعادة على النشأة الأولى. ولذلك فالصواب أن يقال: إن جملة "ثم

143: رشد القرآن، ج: 5، ص: 327.

144: روح المعاني، ج: 10، ص: 218.

145: العنكبوت: 19.

يعيده" جملة جديدة مستقلة من حيث السياق، وإن كانت مرتبطة بالمعنى العام للآية، وهي معطوفة على أصل الجملة الاستفهامية "أولم يروا"، وذلك على وجه الاستئناف لا على وجه العطف التفسيري على "كيف يبدأ الله الخلق"، كما قد يُفهم لأول وهلة¹⁴⁶.

1-- و يؤكد هذا ماقرره الإمام النسفي في تفسيره "مدارك التنزيل وحقائق التأويل" حيث قال: وقوله تعالى: ثُمَّ يُعِيدُهُ عَظَفَ عَلَى أَوَّلَ يَرَوْنَ لا على يديء لأن الرؤية إن كانت بصرية فهي واقعة على الإبداء دون الإعادة فلو عطف عليه لم يصح وكذا إذا كانت علمية لأن المقصود الاستدلال بما علموه من أحوال المبدأ على المعاد لإثباته فلو كان معلوما لهم كان تحصيله للحاصل.¹⁴⁷

2-- ويلاحظ أن ما ذكره الشيخ أسيد الله يلتقي مع ما أورده الإمام ناصر الدين أبوسعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي في تفسيره "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" حيث قال: أَوَّلَ يَرَوْنَ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخُلُقَ من مادة ومن غيرها، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ «يبدأ». ثُمَّ يُعِيدُهُ إخبار بالإعادة بعد الموت معطوف على أَوَّلَ يَرَوْنَ لا على يُبْدِئُ، فإن الرؤية غير واقعة عليه¹⁴⁸.

3-- وزاد الأمر وضوحا ما أورده العلامة الزمخشري أيضا حيث قال: وقوله ثُمَّ يُعِيدُهُ ليس بمعطوف على يديء، وليست الرؤية واقعة عليه، وإنما هو إخبار على حياله بالإعادة بعد الموت، كما وقع النظر في قوله تعالى: فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخُلُقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ على البدء دون الإنشاء، ونحو قولك: ما زلت أوتر فلانا وأستخلفه على من أخلفه «3». فإن قلت: هو معطوف بحرف العطف، فلا بد له من معطوف عليه، فما هو؟ قلت: هو جملة قوله أَوَّلَ يَرَوْنَ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخُلُقَ.¹⁴⁹

146: رشد القرآن، ج: 5، ص: 492.

147: روح المعاني، ج: 10، ص: 351.

148: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج: 3، ص: 448.

149: الكشف، ج: 4، ص: 191.

المبحث الثاني: بيانه للمناسبات بين مجموعة من الآيات

المطلب الأول: بيانه للمناسبات بين الآية والآية.

المثال الأول:

يربط الشيخ أسيد الله . رحمه الله - الآية "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ"، بالتي قبلها وهي قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ"

فيقول إن الآية "ختم الله ... " جاءت تعليلاً وبياناً للسبب الذي لأجله كان لا ينتفع هؤلاء الكافرون بالإنذار، ولا يتأثرون بالتذكير أو بالنصيحة، ولا يقبلون دعوة الإيمان، سواء بُذل لهم الجهد في الإنذار أم تُركوا بلا إنذار، فإن حالهم لا يتبدل، والسبب في ذلك هو أن الله سبحانه وتعالى قد طبع على قلوبهم، أي ختم عليها وأغلقها بحيث لا يدخلها الإيمان، كما ختم أيضاً على أسماعهم، فلا يسمعون سماع تدبر واعتبار، وجعل على أبصارهم غشاوة تحجبهم عن رؤية الحق، فصاروا في حال من الإعراض الكامل عن الهدى، ولذلك تحقق لهم العذاب العظيم، جزاءً وفاقاً لما هم عليه من الكفر والإعراض، فكان الختم الإلهي على قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم هو السبب الحقيقي وراء عدم إيمانهم، وإنذارك لهم أو عدمه لا يغير في واقعهم شيئاً.¹⁵⁰

1--وقد جاء كلام الشيخ أسيد الله موافقاً لما ذكره الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" حيث قال: "ولما كان من أعجب العجب كون شيء واحد يكون هدى لناس دون ناس علل ذلك بقوله: {ختم الله} أي بجلاله {على قلوبهم} أي ختماً مستعلياً عليها فهي لا تعي حق الوعي، لأن الختم على الشيء يمنع.¹⁵¹ لدخول إليه والخروج منه، وأكد المعنى بإعادة الجار فقال: {وعلى سمعهم} فهم لا يسمعون حق السمع، وأفرده لأن التفاوت فيه نادر، قال الحرالي: وشركه في الختم مع القلب لأن أحداً لا يسمع إلا ما عقل. انتهى. {وعلى أبصارهم غشاوة} فهم لا ينظرون بالتأمل.

150: رشد القرآن، ج: 1، ص: 93.

151: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 1، ص: 95.

2-- كما يوافق قوله مع ما أورده الإمام الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" حيث قال: "اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنهم لا يؤمنون أخبر في هذه الآية بالسبب الذي لأجله لم يؤمنوا، وهو الحثم،¹⁵² .

3-- وهذا بعينه ما أشار إليه الإمام البيضاوي رحمه الله حيث قال: حثم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان لما يقتضيه¹⁵³ .

المثال الثاني:

يربط الشيخ أسيد الله - رحمه الله - الآية: ﴿إِنْ يَحْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾¹⁵⁴ ، بالتي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾¹⁵⁵ ، فيقول كان في الآية السابقة تخويف ووعد على ارتكاب المنهيات، وأما في هذه الآية فبشر من يجتنب المنهيات. وحاصل ذلك: أن من يجتنب الكبائر، فإن الله تعالى - بسبب حسناته "مثل الوضوء وغيره من الأعمال الصالحة، بشرط القبول" - سيغفر له الصغائر¹⁵⁶ .

1-- وهذا مانجده أيضا عند الإمام البقاعي حيث قرر في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" وقال: "ولما بين تعالى ما لفاعل ذلك تحذيراً، وكان قد تقدم جملة من الكبائر، أتبعه ما للمنتهي تبشيراً جواباً لمن كأنه قال: هذا للفاعل فما للمجتنب؟ فقال على وجه عام: {إِنْ يَحْتَبُوا} أي تجهدوا أنفسكم بالقصد الصالح في أن تتركوا تركاً عظيماً وتباعدوا {كبائر ما تنهون عنه} أي من أكل المال والقتل بالباطل والزنى وغير ذلك مما تقدم"¹⁵⁷ .

2-- وقد سبقه إلى هذا المعنى الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره "تفسير المراغي" حيث قال:

152: تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير - ج: 2، ص: 291.

153: تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ج: 1، ص: 42.

154: النساء: 31.

155: النساء: 30.

156: رشد القرآن، ج: 2، ص: 52.

157: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. ج: 5، ص: 261.

بعد أن نهي سبحانه عن أكل أموال الناس بالباطل وعن قتل النفس، وهما أكبر الذنوب المتعلقة بحقوق العباد، وتوعد فاعل ذلك بأشد العقوبات - نهي عن جميع الكبائر التي يعظم ضررها، وتؤذن بضعف إيمان مرتكبها، ووعد من تركها بالمدخل الكريم¹⁵⁸.

3--وهنا يلاحظ أن للإمام الرازي توجيهها آخر، يختلف عما ذكره الشيخ أسيد الله، حيث قال: "اعلم أنه تعالى لما قدم ذكر الوعيد أتبعه بتفصيل ما يتعلق به فذكر هذه الآية، الكريم¹⁵⁹.

المثال الثالث:

يربط الشيخ أسيد الله - رحمه الله - الآية: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾¹⁶⁰ بالتي قبلها، وهى قوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَلَيْنَا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾¹⁶¹، فيقول: إن في الآية السابقة كان ذكر المخاصمة بين رؤساء الإنس وأتباعهم، وأما في هذه الآية فذكرت المخاصمة بين الناس وإبليس اللعين، الذي هو رئيس الكفار جميعاً¹⁶².

ومما يؤيد هذا التوجيه ما ذكره الإمام الرازي حيث قال: "اعلم أنه تعالى لما ذكر المناظرة التي وَقَعَتْ بَيْنَ الرُّؤَسَاءِ وَالْأَتْبَاعِ مِنْ كَفَرَةِ الْإِنْسِ، أَرَدَهَا بِالْمُنَازَعَةِ الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ الشَّيْطَانِ وَبَيْنَ أَتْبَاعِهِ مِنَ الْإِنْسِ فَقَالَ تَعَالَى: وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ".¹⁶³

وقد أشار الشيخ إدريس الكاندهلوي إلى هذا المعنى في تفسيره "معارف القرآن" حيث قال: "ذكرت في الآيات السابقة محاورة ضعفاء الكفار مع رؤسائهم وسادتهم، وذكر في هذه الآية محاورة الشيطان الذي هو رئيس جميع الكفار وسيدهم. فالشيطان سيلقي خطاباً في ذلك الوقت، وقد ذكره الله تعالى في هذه الآية، وذلك حين يدخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة، فيجتمع أهل النار جميعاً متفقين

158: تفسير المراغي . ج: 5، ص: 20.

159: تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير . ج: 10، ص: 59.

160: إبراهيم: 22.

161: إبراهيم: 21.

162: رشد القرآن، ج: 3، ص: 465.

163: تفسير الرازي مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ج: 19، ص: 84.

على لعن إبليس وملائته قائلين: أنت الذي أهلكتنا ودمرتنا. فعندئذ يقوم إبليس ليدفع عن نفسه التهمة، فيعتلي منبراً من النار ويخطب فيهم. وهذا سيكون على الكفار بلائاً عظيماً، إذ أسوأ جهنم قائدهم الأكبر بالرد الصريح القاطع".¹⁶⁴

المثال الرابع:

يربط الشيخ أسيد الله -رحمه الله - الآية : «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»
بالتي قبلها وهي قوله تعالى: "وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً"

فيقول: إن الله تعالى ذكره من صور الإكرام العظيم لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال سير الإسراء والمعراج التي كانت خارقة للعادة، حيث أسري به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات العلا، وكل ذلك كان تكريماً له ورفعاً لدرجته عند الله تعالى. وفي هذه الآية "وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ الخ"

ذكر صورة من صور الإكرام الإلهي التي حُصّ بها نبي آخر من أولي العزم، وهو موسى عليه السلام، حيث إن الله تعالى أعطاه الكتاب، أي التوراة، وجعل هذا الكتاب هادياً لبني إسرائيل، ووسيلة لهم، للسير على طريق الحق، وكما قد أنزل هذا الكتاب عليه أثناء مسيره إلى جبل الطور، فكانت تلك الرحلة أيضاً رحلة مباركة حصل فيها التكليم والتشريف.

ومن ثم يبين الشيخ أن الله تعالى قد ذكر خلاصة مضمون التوراة كلها في عبارة وجيزة جاءت في آخر الآية، وهي: «إِلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً»، أي أن لا تعتمدوا على غير الله، ولا تتخذوا سواه وكيلاً أو معيناً، فهذه الجملة تتضمن أصل العقيدة التي قامت عليها التوراة، وهي التوحيد الخالص، والاعتماد الكامل على الله وحده دون سواه.

فهكذا يتضح أن الربط بين الآيتين قائم على ذكر إكرام الله تعالى، لمحمد -صلى الله عليه وسلم- ولموسى عليه السلام، كلٌّ بطريقته الخاصة، فالأول بالإسراء والمعراج، والثاني بإنزال الكتاب والهداية، ثم أنهى ذلك بالتذكير بعقيدة التوحيد التي هي أساس جميع الرسالات السماوية¹⁶⁵.

164: معارف القرآن، ج:4، ص:251، 252

165: رشد القرآن، ج: 4، ص:16.

1- ولا يخرج هذا عن قول الشيخ ابوحفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشي في الباب في علوم الكتاب إذ قال :

لما ذكر الله - تعالى - في الآية الأولى سُبحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) إكرامه مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أُسْرِيَ بِهِ، ذكر في هذه الآية وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) إكرام موسى - عليه السلام - قبله بالكتاب الذي آتاه¹⁶⁶.

2- وهذا عين مقاله الإمام الرازي أيضا في تقرير المناسبة حيث قال: "ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الْأُولَى سُبحَانَ الَّذِي أُسْرِيَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1) إِكْرَامُهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَن أُسْرِيَ بِهِ، وَذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (2) أَنَّهُ أَكْرَمَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَبْلَهُ بِالْكِتَابِ الَّذِي آتَاهُ فَقَالَ: وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ يَغْنِي التَّوْرَةَ: وَجَعَلْنَاهُ هُدًى أَيْ يُخْرِجُهُمْ بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ الْكِتَابِ مِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ إِلَى نُورِ الْعِلْمِ وَالِدِّينِ الْحَقِّ وَقَوْلُهُ: أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا وَفِيهِ أَبْحَاثٌ¹⁶⁷.

3- وقد أشار الشيخ إدريس الكاندهلوي إلى هذا المعنى بالتفصيل في تفسيره "معارف القرآن" حيث قال: "ذكرت في الآية السابقة كرامة النبي □ في الإسراء وشرف المعراج، وأما في هذه الآية فقد ذكر شرف موسى عليه السلام وفضله، إذ خاطبه الله تعالى على طور سيناء فشرّفه بمناجاته، وأعطاه التوراة لهداية بني إسرائيل، وفيها الأمر المؤكّد أن لا يتخذوا غير الله وليًا ولا نصيرًا. ولكن بني إسرائيل وقعوا في عبادة العجل، ودخلوا في الشرك فهلكوا.

والمقصود أنّ ذهاب موسى عليه الصلاة والسلام إلى طور سيناء وتشريفه بكلام الله تعالى يُعدّ معراجًا له، و في ذكر معراج موسى مع معراج محمد □ إشارة لطيفة، مفادها أنّ موسى عليه السلام كان من أولي العزم، صاحب كتاب ومعجزات، ورسولًا عظيمًا من عند الله، كذلك محمد □ هو هادٍ ورسول حق من عند الله، وقد أنزل الله تعالى عليه القرآن العظيم هدايةً للعالمين، وهو كتاب لا نظير له في تقرير التوحيد، والبعث، والمعاد، ومكارم الأخلاق.

166: الباب في علوم الكتاب ، ج:12، ص:205

167: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ج:20، ص:297

وكما أنّ موسى عليه الصلاة والسلام سمع كلام الله من وراء حجاب، فإنّ النبي ﷺ قد سمع ليلة المعراج كلام الله تعالى بلا واسطة، بل وتشرف برؤية ربه. وكما هلك منكرو نبوة موسى عليه السلام ومعجزاته، فكذلك منكرو نبوة محمد ﷺ ومعجزة معجازه سيصبرون إلى سوء العاقبة.

ثم إنّ لما كان موسى عليه الصلاة والسلام في ليلة المعراج قد قال للنبي ﷺ: "إنّ أمتك لا تطيق خمسين صلاة في اليوم واللييلة، فارجع إلى ربك واطلب التخفيف"، لذلك كان رسول الله ﷺ يعود إلى ربه مراراً حتى خففت الصلوات، وتقرر فرض خمس صلوات. ولهذا السبب جاء ذكر موسى عليه السلام بعد ذكر الإسراء والمعراج، إشارة إلى أنّ بوساطته حصلت هذه الرحمة العظيمة للأمم.¹⁶⁸

4-وقد بين العلامة آلوسي نحو ذلك في تفسيره "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" حيث قال: "وعقب آية الإسراء بهذه استطرادا تمهيدا لذكر القرآن، والجامع أن موسى عليه السلام أعطى التوراة بمسيرة إلى الطور وهو بمنزلة معجازه لأنه منح ثمت التكليم وشرف باسم الكليم وطلب الرؤية مدججا فيه تفاوت ما بين الكتابين ومن أنزلا عليه"¹⁶⁹.

المثال الخامس:

يربط الشيخ أسيد الله رحمه الله الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾¹⁷⁰، بالتي قبلها، وهى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾¹⁷¹، فيقول: ذكر في الآية السابقة حكم البيت الذي كان السكن فيه مُتَحَقِّقًا فعلاً، وأما في هذه الآية، فيذكر حكم البيت الذي لا يكون فيه أحد مقيم بالفعل، أو قد يكون فيه أناس، لكنهم ليسوا من أهل الرد، أو هم من أهل الرد لكن لا يريدون الرد، أو يردون بالرفض. فإذا كان البيت بيت شخص معيّن، لكن صاحبه أو ساكنه ليس موجوداً، فالدخول إليه قبل حضور المالك ومن دون إذنه مكروه، لأن الدخول من غير إذن يشبه الغصب¹⁷².

168: معارف القرآن للشيخ إدريس كاندهلوي، ج:4، ص:446

169: روح المعاني للآلوسي ج:8، ص:15.

170: النور: 28.

171: النور: 27.

172: رشد القرآن، ج: 5، ص: 23.

1- وهذا ما نجده عند الإمام البقاعي أيضاً حيث قرر في تفسيره "نظم الدرر في تناسب الآيات والصور" بالاختصار، وقال: "ولما كان السكان قد يكونون غائبين، والإنسان لكونه عورة لا يجب أن يطلع غيره على جميع أموره، قال: {فإن لم تجدوا فيها} أي البيوت التي ليس بها سكانكم {أحداً} قد يمنعكم، فالله يمنعكم منها، تقديماً لدرء المفاسد {فلا تدخلوها} أي أبداً {حتى يؤذن لكم} من آذن ما بإذن شرعي من الساكن أو غيره، لأن الدخول تصرف في ملك الغير أو حقه فلا يحل بدونه إذنه¹⁷³.

2--وهنا يلاحظ أن للشيخ طاهر بن عاشور توجيهاً آخر، يختلف عما ذكره الشيخ أسيد الله، حيث قال: "وَأَمَّا قَوْلُهُ: فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا إلخ لِّلَاخْتِرَاسِ مِنْ أَنْ يَظُنَّ ظَنَّ أَنَّ الْمَنَازِلَ غَيْرَ الْمَسْكُونَةِ يَدْخُلُهَا النَّاسُ فِي غَيْبَةِ أَصْحَابِهَا بِدُونِ إِذْنٍ مِنْهُمْ تَوَهُّمًا بِأَنَّ عِلَّةَ شَرْعِ الْإِسْتِذْنَانِ مَا يَكْرَهُ أَهْلُ الْمَنَازِلِ مِنْ رُؤْيَيْهِمْ عَلَى غَيْرِ تَأْهُبٍ بَلِ الْعِلَّةُ هِيَ كَرَاهَتُهُمْ رُؤْيَا مَا يُجِبُونَ سِتْرَهُ مِنْ شَوْوَهُمْ. فَالشَّرْطُ هُنَا يُشَبِّهُ الشَّرْطَ الْوَصْلِيَّ لِأَنَّهُ مُرَادٌ بِهِ الْمُبَالَعَةُ فِي تَحْقِيقِ مَا قَبْلَهُ وَلِذَلِكَ لَيْسَ لَهُ مَفْهُومٌ مُخَالَفَةٍ. وَالْعَايَةُ فِي قَوْلِهِ: حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ لِتَأْكِيدِ التَّنْهِي بِقَوْلِهِ: فَلَا تَدْخُلُوهَا أَيَّ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلُهَا فَيَأْذَنُوا لَكُمْ.

وَقَوْلُهُ: وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ تَذْيِيلٌ لِهَذِهِ الْوَصَايَا بِتَذْكِيرِهِمْ بِأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِأَعْمَالِهِمْ لِيُزِدَّحَرَ أَهْلُ الْإِلْحَاحِ عَنْ إِيحَاحِهِمْ بِالتَّثْقِيلِ، وَلِيُزِدَّحَرَ أَهْلُ الْحَيْلِ أَوْ التَّطَلُّعِ مِنَ الشُّفُوقِ وَخَوِّهَا. وَهَذَا تَعْرِضٌ بِالْوَعِيدِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ عِصْيَانًا لِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ. فَعَلِمُهُ بِهِ كِنَايَةً عَنْ مُحَازَاتِهِ فَاعِلِيهِ بِمَا يَسْتَحَقُّونَ. وخطاب فلا تدخلوها يعمُّ وهو مخصوصٌ بمفهوم قَوْلِهِ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ [النور: 58] كَمَا سَيَأْتِي. وَلِذَا فَإِنَّ الْمَمَالِيكَ وَالْأَطْفَالَ مُحْصَصُونَ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ كَمَا سَيَأْتِي¹⁷⁴.

3--وقد عبر عن هذا المعنى العلامة آلوسي بعبارة قريبة حيث قال:

"ووجه ذلك أن الدخول في البيوت الخالية من غير إذن سبب للقليل والقال، وفيه تصرف بملك الغير بغير رضاه وهو يشبه الغضب، وهذه الآية لبيان حكم البيوت الخالية عن أهلها كما أن الآية الأولى لبيان حكم البيوت التي فيها أهلها.

وجوز أن تكون هذه تأكيداً لأمر الاستئناس وأنه لا بد منه والأمر دائر عليه، والمعنى فإن لم تجدوا فيها أحداً من الأذنين أي ممن يملك الإذن فلا تدخلوها... فإن لم يكن فيها أحد لأن المعتبر وجد

173: نظم الدرر في تناسب الآيات والصور ج: 13، ص: 250

174: التحرير والتنوير ج: 18، ص: 20.

أنها خالية من الأهل مطلقاً أو ممن يملك ذلك الإذن سواء كان فيها أحد في الواقع أم لم يكن كذا قيل¹⁷⁵.

المثال السادس:

يربط الشيخ أسيد الله رحمه الله -الآية: "ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً" بالتي قبلها وهي قوله تعالى: "إلا من تاب وأمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً" فيقول ذكر في الآية السابقة توبة الكافر والمشرک، أما في هذه الآية فذكرت توبة العاصي المؤمن لإكمال مضمون التوبة. فالمقصود بـ (من) هنا هو المؤمن العاصي، أي ذلك المؤمن الذي ارتكب الذنوب ثم تاب منها وعمل صالحاً، فالله تعالى سيقبل توبته ويرحمه¹⁷⁶.

1--وقد جرى على هذا المعنى الشيخ إدريس كاندهلوي حيث قال : ذكرت في هذه الآيات ذنوب الكافر التي ارتكبها حال كفره، ثم إنه آمن، وأما هنا فذكر حال المؤمن إذا أذنب بعد الإسلام؛ فإنه متى تاب، تاب الله عليه وكفر عنه خطاياهم. كما قال الله تعالى: وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (71) ومن الواضح أنّ من رجع إلى نور السماوات والأرض تبدلت ظلماته أنواراً. فالآيات السابقة تضمنت ذكر توبة الكافر، وأما هذه الآية فذكرت توبة المؤمن، فتمّ بذلك مضمون التوبة، وكمل وصف عباد الرحمن؛ إذ هم وإن كانوا أهل طاعة وابتعاد عن المعصية، فإنهم إذا وقع منهم . بمقتضى البشرية ذنب، بادروا إلى التوبة والإنابة.¹⁷⁷

2--وقد جاء كلام الإمام البقاعي مخالفاً لما قال الشيخ أسيد الله حيث قال: " ولما أشعرت الفاء بالتسبيب، ودل تأكيد الفعل بالمصدر على الاحتياج إلى عمل كثير ربما جل عن طوق البشر، وأشار إلى التطريق له بالوصفين العظيمين، أتبع ذلك بيان الطريق إليه بما أجرى من العادة فقال: {ومن تاب} أي عن المعصية كفراً كانت أو ما دونه {وعمل} تصديقاً لادعائه التوبة.

ولما كان في سياق الترغيب، أعراه من التأكيد فقال: {صالحاً} ولو كان كل من نيته وعمله ضعيفاً؛ ورغب سبحانه في ذلك بقوله معلماً أنه يصل إلى الله: {فإنه يتوب} أي يرجع واصللاً {إلى الله} أي الذي له صفات الكمال، فهو يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات {متاباً*} أي رجوعاً عظيماً

175: روح المعاني ج:9، ص:331

176: رشد القرآن، ج: 5، ص: 146.

177: معارف القرآن للشيخ إدريس كاندهلوي، ج:5، ص:525

جداً بأن يرغبه الله في الأعمال الصالحة، فلا يزال كل يوم في زيادة في نيته وعمله، فيخف ما كان عليه ثقيلاً، ويتيسر له ما كان عسيراً، ويسهل عليه ما كان صعباً،¹⁷⁸.

المثال السابع:

يربط الشيخ أسيد الله -رحمه الله- الآية: "وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدِيَ الْمُرْسَلُونَ" بالتي قبلها وهي قوله تعالى: "يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ". يقول ذكر الله تعالى في الآية السابقة صفته "العزیز"، فالآن يذكر في هذه الآية المظاهر العملية لهذه الصفة، أي أن الله تعالى ذو غلبة وقوة تامة على كل شيء، فقد حوّل العصا، وهي من الجمادات، بقدرته إلى حيوان من أشدّ الحيوانات، وهذا يدل على كمال قدرته¹⁷⁹.

1--ويؤيد هذا المعنى ما أورده الشيخ محمد ثناء الله المظهري في تفسيره "التفسير المظهري" بعبارة قريبة، حيث قال: يا موسى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الضمير الشأن اسم ان وانا الله خبرها او الضمير للمنادى اسمها وانا خبرها والله عطف بيان له والعزیز الحكيم صفتان له ممهدتان لما أراد ان يظهره يعنى انا القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كتقلب العصا حيّة الفاعل لكل ما يفعله بحكمة وتدبير.¹⁸⁰

2--وهذا عين ما أشار إليه العلامة آلوسي في تفسيره "روح المعاني" حيث قال: وَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ نعتان للاسم الجليل مهران لما أريد إظهاره على يده من المعجزة أي أنا الله القوي القادر على ما لا تناله الأوهام من الأمور العظام التي من جملتها أمر العصا واليد الفاعل كل ما أفعله بحكمة بالغة وتدبير رصين،¹⁸¹.

3--ويشهد لهذا ما ذكره الإمام الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" حيث قال: والعزیز الحكيم صفتان (لِلتَّعِينِ) «1» وَهَذَا تَمْهِيدٌ لِمَا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْمُعْجَزَةِ يُرِيدُ أَنَا الْقَوِيُّ الْقَادِرُ عَلَى مَا يَبْعُدُ مِنَ الْأَوْهَامِ كَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّة، الفاعل [كل] «2» مَا أَفْعَلُهُ بِحِكْمَةٍ وَتَدْبِيرٍ.¹⁸²

4--ولكن الإمام البقاعي قد خالف الشيخ أسيد الله هنا في هذه المناسبة حيث قال: "ولما كان التقدير: فافعل جميع ما أمرك به فإنه لا بد منه، ولا تخف من شيء فإنه لا يوصل إليك بسوء لأنه متقن بقانون

178: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج: 13، ص: 430

179: رشد القرآن، ج: 5، ص: 274.

180: .التفسير المظهري ج: 7، ص: 100

181: روح المعاني آلوسي، ج: 10، ص: 157.

182: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير . ج: 24، ص: 545.

الحكمة، محروس بسور العزة، دل عليه بالعطف في قوله: {وَأَلْقَ عَصَاكَ} أي لتعلم علماً شهودياً عزتي وحكمتي.¹⁸³

المثال الثامن:

يربط الشيخ أسيد الله . رحمه الله -الآية "وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" بالتي قبلها وهي قوله تعالى "فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين "

فيقول :قبل نزول هذه الآية الكريمة {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} ، كان الخطاب موجَّهًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بوجوب تهذيب النفس وتنقيتها من شوائب الشرك، والإخلاص في عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، كما تضمَّن تعليمًا واضحًا في شأن توحيد الله، والاعتماد الكامل عليه دون غيره. وفي هذه الآية المباركة "وأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" يتوجَّه الخطاب مرة أخرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، لكن هذه المرة يتسع نطاق التكليف، إذ لا يقتصر الأمر على نفسه فحسب، بل يتعداه ليشمل أقرب الناس إليه من أقاربه وعشيرته، فيأمره الله عز وجل بإنذارهم وتحذيرهم من مغبة الشرك وسؤال غير الله، وأن يُرشداهم إلى عبادة الله وحده، ويخوفهم من عذاب الله الأليم إن استمروا على ضلالهم.

والإنذار الذي بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم ، يُقسَّم إلى أربعة أنواع ، وهي:

1. إنذار العشيرة: أي أقاربه الأقربين الذين تربطه بهم صلة الدم والنسب.
2. إنذار القوم: ويراد به أهل مكة وقريش عمومًا، الذين نشأ بينهم وكانوا أول من بلغهم

دعوته-

3. إنذار العرب: حيث استمرت دعوته لتشمل جميع القبائل العربية المنتشرة في شبه الجزيرة.

4. إنذار سائر بني آدم: وهو الإنذار الشامل و العام لجميع البشرية، إذ كانت نبوته خاتمة

وبعثته عامة للناس كافة، لا تختص بقوم دون آخرين.

وبما أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى الناس كافة، فإن هذه الأنواع الأربعة من الإنذار قد ثبتت جميعها في دعوته، فبلغ ما أُمر به وبيَّن ما أنزل إليه، وبدأ بإنذار أقرب الناس إليه، كما أمره ربه عز وجل في هذه الآية.

كما جاء في الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عازماً على تنفيذ أمر ربه، فصعد جبل الصفا ونادى بأعلى صوته: "يا بني فهر! يا بني عدي!" منادياً بطون قريش المختلفة، حتى اجتمع إليه جمع غفير من أهل مكة، وكان من لم يستطع الحضور بنفسه أرسل رسولاً لينقل له ما يحدث، لما كان معروفاً عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصدق والأمانة. فلما اجتمع الناس قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم مستثيراً عقولهم ومنبهاً وجدانهم: "أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟" فأجابوه بإجماع: "نعم، ما جرننا عليك إلا صدقاً."

فقال لهم صلى الله عليه وسلم بكل جدية وصدق: "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد." أي أنني أبلغكم من الله تحذيراً شديداً قبل أن يأتيكم عذاب لا مرد له. وهنا، وبدلاً من أن يتأمل أبو هب. عم النبي. في هذا التحذير، استهزأ برسالة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال مستهزئاً: "تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟" فأنزل الله تعالى في شأنه سورة تتلى إلى يوم القيامة، فقال: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ...} 184 . 185

1--ومما يلاحظ أن كلا من الشيخ أسيد الله والإمام الرازي تعرضا لبيان المناسبة غير أن الشيخ أسيد الله توسع في التفصيل بينما اقتصر الإمام الرازي على وجه آخر، مع وحدة المقصد. حيث قال: اعْلَمَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمَّا بَالَعَ فِي تَسْلِيَةِ رَسُولِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ أَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَى بُيُوتِهِ، ثَانِيًا ثُمَّ أَوْرَدَ سُؤَالَ الْمُنْكَرِينَ، وَأَجَابَ عَنْهُ ثَالِثًا، أَمْرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِبَابِ التَّبْلِيغِ وَالرِّسَالَةِ وَهُوَ هَاهُنَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ: الْأَوَّلُ: قَوْلُهُ: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى بَدَأَ بِالرَّسُولِ فَتَوَعَّدَهُ إِنَّ دَعَا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ، ثُمَّ أَمْرُهُ بِدَعْوَةِ الْأَقْرَبِ فَأَلْقَرَبِ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا تَشَدَّدَ عَلَى نَفْسِهِ أَوَّلًا، ثُمَّ بِالْأَقْرَبِ فَأَلْقَرَبِ ثَانِيًا، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيهِ طَعْنٌ الْبَتَّةَ وَكَانَ قَوْلُهُ أَنْفَعَ وَكَلَامُهُ أُنْجَعُ، وَرُويَ «أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ صَعِدَ الصَّفَا فَنَادَى الْأَقْرَبَ فَأَلْقَرَبِ وَقَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا عَبَّاسُ عَمَّ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنَ الْمَالِ/ مَا شِئْتُمْ»

وَرُوي «أَنَّهُ جَمَعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُمْ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعُونَ رَجُلًا عَلَى رَجُلٍ شَاةٍ وَقَعِبٍ مِنْ لَبَنٍ، وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ يَأْكُلُ الْجَذْعَةَ وَيَشْرَبُ الْعُسَّ، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا، ثُمَّ قَالَ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ بَسْفَحَ هَذَا الْجَبَلِ خَيْلًا، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِي؟ قَالُوا نَعَمْ فَقَالَ: إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» .¹⁸⁶

2--وقريباً من هذه المناسبة قد بين الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي في تفسيره "تفسير المراغي" بالتعبير المختلف مع الاتحاد في المقصود، حيث قال: بعد أن بالغ سبحانه في تسليية رسوله صلى الله عليه وسلم وأقام الحجة على نبوته، ثم أورد سؤال المنكرين وأجاب عنه - أردف ذلك أمره بعبادته وحده وإنذار العشيرة الأقربين ومعاملة المؤمنين بالرفق، ثم ختم هذه الأوامر بالتوكل عليه تعالى وحده، فإنه هو العليم بكل شئونه وأحواله.

روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنه قال: لما أنزل الله: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» أنى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى يا صباحاه، فاجتمع الناس إليه، بين رجل يجيء إليه ورجل يبعث رسوله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا بنى عبد المطلب، يا بنى فهر، يا بنى لؤى، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟» وأنزل الله تعالى: «تَبَّتْ يُدَا أَيْ هَبْ وَتَبَّتْ»^{187 188}

المثال التاسع:

يربط الشيخ أسيد الله -رحمه الله- الآية: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمناً بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون". بالتي قبلها وهى قوله تعالى: "أتل ما أوحى إليك من الكتب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون" عندما ورد أمر بالتبليغ في الآية السابقة: «أتل ما أوحى إليك»، فهذه الآية تبين طريقة التبليغ، فإن وصل الأمر إلى النقاش والمجادلة، فجادلهم بالتي هي أحسن، أي بالأسلوب الأفضل، ولا تغضب ولا تثر الضجة، بل خاطبهم بالكلام اللين والأسلوب الحسن: «إلا بالتي هي أحسن» أي بالخصلة التي هي أحسن¹⁸⁹.

186: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: 24، ص: 536

187: تفسير المراغي ج: 19، ص: 109.

188-حكم الحديث صحيح، البخارى صحيح البخارى، (4971)

189: رشد القرآن، ج: 5، ص: 512.

1--وقد جاء كلام الشيخ أحمد بن مصطفى المراغي في تفسيره "تفسير المراغي" مخالفا لماقاله الشيخ أسيد الله حيث قال: بعد أن بين سبحانه طريق إرشاد المشركين وجداهم بالخشن من القول، والمبالغة في تسفيه آرائهم وتوهين شبههم بنحو قوله: «صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيٌّ» وقوله: «هَمُّ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهَمُّ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهَمُّ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا» إلى أشباه ذلك- أردف هذا ذكر طريق إرشاد أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن يسلك معهم طريق الحجاج بالحسنى، ولا يسفّه آراءهم، ولا ينسب إلى الضلال آباءهم.

ذاك أن المشركين جاءوا بالمنكر من القول ونسبوا إلى الله ما لا ينبغي من الشريك والولد، أما أهل الكتاب فقد اعترفوا بالله وأنبيائه، لكنهم أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا إن شريعتهم باقية على وجه الدهر لا تنسخ بشريعة أخرى، فينبغي إقناع مثل هؤلاء بالحسن من القول، ولفت أنظارهم إلى الأدلة الباهرة الدالة على نبوته وصدق رسالته بما يكون لهم فيه مقنع، وبما لو تأملوا فيه وصلوا إلى الصواب، وأدركوا الأمر على الوجه الحق، إلا من ظلموا منهم وعاندوا ولم يقبلوا النصح والإرشاد، فاستعملوا معهم الغلظة في القول، والأسلوب الجاف في الحديث، لعلمهم يثوبون إلى رشدهم، ويتأملون فيما يقنعهم من الحجج والبراهين¹⁹⁰.

2--كما نلاحظ توجيهها آخر عند الإمام الرازي في تفسيره "مفاتيح الغيب" حيث قال: لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ طَرِيقَةَ إِرْشَادِ الْمُشْرِكِينَ وَنَفَعَ مَنْ انْتَفَعَ وَحَصَلَ الْيَأْسُ مِمَّنْ امْتَنَعَ بَيَّنَّ طَرِيقَةَ إِرْشَادِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَالَ: وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ الْمُرَادُ مِنْهُ لَا تُجَادِلُوهُمْ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا إِلَّا إِذَا ظَلَمُوا وَخَارَبُوا، أَيْ إِذَا ظَلَمُوا زَائِدًا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَفِيهِ مَعْنَى اللَّطْفِ مِنْهُ وَهُوَ أَنَّ الْمُشْرِكَ جَاءَ بِالْمُنْكَرِ عَلَى مَا بَيَّنَّاهُ فَكَانَ اللَّائِقُ أَنْ يُجَادَلَ بِالْأَخْشَنِ وَيُبَالِغَ فِي تَهْجِينِ مَذْهَبِهِ وَتَوْهِينِ شُبْهِهِ، وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى فِي حَقِّهِمْ صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيٌّ [البقرة: 179] وَقَالَ: هُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا [الأعراف: 179] إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. وَأَمَّا أَهْلُ الْكِتَابِ فَجَاءُوا بِكُلِّ حَسَنِ إِلَّا الْإِعْتِرَافَ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَحَّدُوا وَآمَنُوا بِإِنزَالِ الْكِتَابِ وَإِرْسَالِ الرُّسُلِ وَالْحَشْرَ، فَلِمُقَابَلَةِ إِحْسَانِهِمْ يُجَادِلُونَ أَوَّلًا بِالْأَحْسَنِ وَلَا تَسْتَخَفُّ آرَاءَهُمْ وَلَا يَنْسَبُ الضَّلَالِ آبَاؤُهُمْ، بِخِلَافِ الْمُشْرِكِ.

المطلب الثاني: بيانه للمناسبات بين فاتحة السورة وخاتمتها:

المثال الأول:

للربط بين بداية سورة الكهف ونهايتها: إليكم مفهوم مقالته الشيخ أسيد الله -رحمه الله- مع التوضيح: انتهت سورة الكهف بنفي الشرك، وهو أن يُشرك أحدٌ مع الله تعالى في عبادته، وهذا يُعد من أخطر الذنوب أعظمها، لأنه فيه انتقاص لحق الله الخالص في الألوهية. وقد جاءت نهاية السورة لتؤكد أن الإخلاص في العمل لا بد أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، دون أن يُراد به غيره، أو يُبتغى فيه رضا أحد سواه، فقال سبحانه: "فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً"، وهذا تأكيد على أن التوحيد هو الأساس الذي تُبنى عليه الأعمال الصالحة، ولا تُقبل عند الله بدونته.

وأما بداية السورة، فقد ابتدأت بالحمد لله، في قوله تعالى: "الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً"، ويُشير هذا الابتداء إلى عظمة الله سبحانه وتعالى، وأنه وحده هو المستحق للحمد والثناء، لأنه هو المالك المطلق لهذا الكون، وخالقه ومدبره، والمتصرف فيه كما يشاء، لا يُشاركه في ذلك أحد، ولا يُنازعه فيه مخلوق. وهذه الآية تُبين أصول التوحيد، إذ أن الحمد لا يكون إلا لمن هو كامل الصفات، والله تعالى هو المنفرد بها دون سواه، فهو الخالق، الرازق، المدبر، المستحق للعبادة وحده.

ويظهر بذلك الترابط بين بداية السورة ونهايتها، حيث ابتدأت بإثبات التوحيد، وأن الحمد كله لله تعالى وحده، واختتمت بالتنبيه على ضرورة إخلاص العمل له سبحانه وتعالى، وترك الشرك بجميع صورته، وهذا يُبين وحدة موضوع السورة في بيان العقيدة الصحيحة، وتأكيد أصل التوحيد، والتحذير من الشرك.¹⁹¹

1- ومما يلاحظ أن كلا من الشيخ أسيد الله والإمام البقاعي تعرضا لمناسبة واحدة غير أن الشيخ أسيد الله توسع في التفصيل بينما اقتصر الإمام الرازي على وجه آخر، مع وحدة المقصد. حيث قال: وقد انطبق آخر السورة على أولها بوصف كلمات الله ثم ما يوحى إليه، وكل منهما أعم من الكتاب بالأقومية للدعاء إلى الحال الأسلم، في الطريق الأقوم، وهو التوحيد عن الشريك الأعم من الولد وغيره، والإحسان في العمل، مع البشارة لمن آمن، والندارة لمن أعرض عن الآيات والذكر، فبان بذلك أن لله تعالى - بوحدايته وتعام علمه وشمول قدرته صفات - الكمال، فصح أنه المستحق لجميع الحمد - والله الموفق،¹⁹².

191: رشد القرآن، ج: 4، ص: 312.

192: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج: 12، ص: 155.

2--ومما يؤكد أن الشيخ القطان قد أتى بالمعنى نفسه في تفسيره "تفسير القطان" "إلا أن تعبيره يختلف في السبك والعبارة حيث قال: وهكذا تختم سورة الكهف التي بدأ بذكر الوحي والتوحيد بما بدئت به من أن محمد عليه الصلاة والسلام بشر مرسل يوحى إليه ، والتوحيد وعدم الشرك هما الجواز الذي يوصل إلى الجنة ¹⁹³.

المثال الثاني:

يذكر الشيخ أسيد الله - رحمه الله - المناسبة بين بداية سورة الحج وخاتمتها، حيث يقول إن السورة قد افتتحت بالتحذير والإنذار، وانتهت بالبشارة والطمأنينة، وفي ذلك لمحة تربوية عظيمة، تدل على أن العبد إذا التزم بما ذكر في هذه السورة من الأعمال الصالحة، كالمحافظة على الصلاة، وأداء الزكاة بإخلاص، والتمسك القوي بدين الله تعالى، والثبات على تعاليمه في أوقات الشدة والرخاء، فإن الله سبحانه وتعالى سيكون له عوناً ونصيراً في كل ظرف من ظروف الحياة، ويسهل له الأمور في الشدائد والمحن، وليس هذا ، بل يشمل برعايته وحفظه في مواقف الآخرة العظيمة، ويؤمنه من أهوال يوم القيامة، جزاءً له على إخلاصه واستقامته وصبره على طاعة الله عز وجل ¹⁹⁴.

1-- وقد جاء كلام الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر" مخالفاً لما قاله الشيخ أسيد الله حيث قال: {واعتصموا بالله} أي المحيط بجميع صفات الكمال.

في جميع ما أمركم به، من المناسك التي تقدمت وغيرها لتكونوا متقين، فيذب عنكم من يريد أن يحول بينكم وبين شيء منها ويقىكم هول الساعة؛ ثم علل أهليته لاعتصامهم به بقوله: {هو} أي وحده {مولاكم} أي المتولي لجميع أموركم، فهو ينصركم على كل من يعاديكم، بحيث تتمكنون من إظهار هذا الدين من مناسك الحج وغيرها؛ ثم علل الأمر بالاعتصام وتوحيده بالولاية بقوله: {فنعم المولى} أي هو {ونعم النصير*} لأنه إذا تولى أحداً كفاه كل ما أهمه، وإذا نصر أحداً أعلاه على كل من خاصمه «ولا يزال العبد يتقرب إلى النوافل حتى أحبه فإذا أحببته» - الحديث، «إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت» وهذا نتيجة التقوى، وما قبله من أفعال الطاعة دليلها. فقد انطبق آخر السورة على أولها. ورد مقطوعاً على مطلعها - والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وهو الهادي للصواب. ¹⁹⁵.

المثال الثالث:

193: تفسير القطان ج: 2، ص: 389

194: رشد القرآن، ج: 4، ص: 663.

195: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 13، ص: 104

يذكر الشيخ أسيد الله - رحمه الله - المناسبة بين بداية سورة الفرقان وخاتمتها، ويقول إن المناسبة بين افتتاح السورة وختامها أن السورة بدأت ببيان أن القرآن الكريم قد أنزل من عند الله تعالى ليفصل بين الحق والباطل، فهو فرقانٌ بيِّنٌ لا لبس فيه، ومع هذا الفرق الواضح والبرهان الجلي، فإن من يُعرض عنه أو يُكذِّب به بعد قيام الحجة، فإن جزاءه عذاب دائم لا ينقطع، جزاءً لإنكاره وجحوده للحق بعد ظهوره¹⁹⁶

1-- وهذا ماقرره الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر" حيث قال: فقد انطبق آخر السورة على أولها بالإنداز بالفرقان، لمن أنكر حقيقة الرحمن - والله ولي التوفيق بالإيمان.¹⁹⁷

المثال الرابع:

للربط بين بداية سورة "المؤمنون" ونهايتها: إليكم مفهوم مقاله الشيخ أسيد الله رحمه الله - مع التوضيح. قد بدأت سورة المؤمنون بقوله تعالى: "قد أفلح المؤمنون"، وهو إعلان جلي عن نجات المؤمنين و فوزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وانتهت السورة بقوله سبحانه: "إنه لا يفلح الكافرون"، وهو بيان قاطع بخسران الكافرين وحرمانهم من الفلاح بكل أنواعه، في الدنيا والآخرة على السواء. فبين بداية السورة ونهايتها حسن مناسبة ومقابلة رائعة، إذ ذكر في الابتداء فلاح جماعة مخصوصة، وهم المؤمنون، وذكر في الختام انتفاء الفلاح عن جماعة مقابلة، وهم الكافرون.

وهذا المناسبة في الابتداء والانتفاء تعكس مقصد السورة في رسم طريق الفلاح والتحذير من سبيل الخسران، ويبلغ ذروته في آخر آية حين يُوجَّه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيأمره الله تعالى بالدعاء فيقول: "وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين"، وهذا التوجيه الكريم يحمل تعليمًا نبويًا رفيعًا لأمته، بأن طريق الفلاح يبدأ وينتهي بالدعاء الصادق، وطلب المغفرة والرحمة من الله عز وجل.

وقد حذف الله سبحانه وتعالى مفعول "اغفر" ومفعول "ارحم" لإفادة العموم والشمول، أي: ارحمنا في كل حال، في الدنيا والآخرة. و اغفر لنا كل ذنب، وفي ذلك إشارة لطيفة إلى أن الإنسان لا ينجو إلا بدفع الضرر عنه، وجلب النفع له، وفي المغفرة دفع المضر، لأنها تقي من عذاب الذنوب وآثارها، وفي الرحمة جلب المنفعة، لأنها سبب في الخير والسعادة والفوز.

192: رشد القرآن، ج: 5، ص: 153

193: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 13، ص: 439

، فإن والمغفرة تشير إلى "تخلية" النفس من الرذائل والذنوب، والرحمة تشير إلى "تخلية" النفس بالفضائل والدرجات، من حيث المعاني الأخلاقية؛ ولهذا قُدِّم طلب المغفرة على طلب الرحمة، لأن التخلية مقدمة على التخلية، كما هو مقرر عند أهل السلوك.

، إن الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بطلب المغفرة والرحمة، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الذنوب . وذلك لحكمة عظيمة، منها: بيان مقام العبودية المطلقة، وطلب المزيد من القرب والدرجات العالية، وليكون أسوةً حسنةً لأمته، فيتعلمون من هديه التواضع والانكسار والدعاء، فلا يغتروا بأعمالهم، بل يلزموا سؤال الله المغفرة والرحمة، طمعاً في فلاح لا يتحقق إلا برضاه عز وجل. رشد القرآن¹⁹⁸.

1-- ويشهد لهذا ما ذكره العلامة الزمخشري: في تفسيره "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" حيث قال: جعل فاتحة السورة قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ وأورد في خاتمتها إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة.¹⁹⁹

2-- وهذا ما أثبتته الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر" حيث قال: ولما أفهم كون حسابه عند هذا المحسن أحد أمرين: إما الصفح بدوام الإحسان، وإما الخسران بسبب الكفران، قال على طريق الجواب لمن يسأل عن ذلك: {إنه لا يفلح} ووضع {الكافرون}* موضع ضميره تنبيهاً على كفره وتعميماً للحكم، فصار أول السورة²⁰⁰. وآخرها مفهماً لأن الفلاح مختص به المؤمنون.

ولما كان الأمر كذلك، أمر سبحانه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاجتهاد في إنقاذ عباده حتى بالدعاء لله في إصلاحهم ليكون الختم بالرحمة للمؤمنين، كما كان الافتتاح بفلاحهم، فقال عاطفاً على قوله {ادفع بالتي هي أحسن} فإنه لا إحسان أحسن من الغفران، أو على معنى {قال كم لبثتم} الذي بينته قراءة ابن كثير وحزمة والكسائي بالأمر: {وقل} ، أو يكون التقدير: فأخلص العبادة له {وقل} لأجل أن أحداً لا يقدره حق قدره: {رب} أيها المحسن إليّ {اغفر وارحم} أي أكثر من تعليق هاتين الصفتين في أمتي لتكثرها، فإن في ذلك شرفاً لي ولهم، فأنت خير الغافرين {وأنت خير الراحمين}* فَمَنْ رَحِمْتَهُ أَفْلَحَ بما توفقه له من امتثال ما أشرت إليه أول السورة، فكان من المؤمنين، فكان من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون، فقد انطبق على الأول هذا الآخر بفوز كل مؤمن، وخيبة كل كافر، نسأل

194: رشد القرآن، ج: 4، ص: 753.

195: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج: 3، ص: 20.

196: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج: 13، ص: 198.

الله تعالى أن يكون لنا أرحم راحم وخير غافر، إنه المتولي للسرائر، والمرجو لإصلاح الضمائر - آمين.
201

- 3--وهذا عين ما أشار إليه العلامة آلوسي في تفسيره "روح المعاني" حيث قال: وما ألطف افتتاح هذه السورة "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" (1) "بتقدير فلاح المؤمنين وإيراد عدم فلاح الكافرين" وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (117) "في اختتامها،²⁰²
- 4--وتبعه علامة طاهر ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" حيث قال: وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ تَذْيِيلُهُ بِجُمْلَةِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ. وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنْ رَدِّ الْعَجْزِ عَلَى الصَّدْرِ إِذِ افْتُتِحَتِ السُّورَةُ بِ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ [الْمُؤْمِنُونَ: 1] وَخُتِمَتْ بِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَهُوَ نَفْيُ الْفَلَاحِ عَنِ الْكَافِرِينَ ضد الْمُؤْمِنِينَ. [118]²⁰³

المثال الخامس:

للربط بين بداية سورة بني إسرائيل مع خاتمتها، إليكم مفهوم مقالته الشيخ أسيد الله - رحمه الله - مع التوضيح، يكشف التأمل في بداية سورة بني إسرائيل وخاتمتها عن ومقصد عميق، وارتباط بليغ، حيث ابتدأت السورة بتنزيه الله سبحانه وتعالى عن كل نقص، وذلك في قوله: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى"، فكان هذا الابتداء جامعاً بين تعظيم الله - سبحانه وتعالى -، والإشارة إلى أعظم مقامات النبي صلى الله عليه وسلم، وهو مقام العبودية، إذ وُصف بـ "عبده ولم يُذكر باسمه، وهذا شرف عظيم يدل على أن أشرف ما يُتَّصف به العبد هو تواضعه لله وانقياده له. ثم تمضي السورة في عرض مشاهد من التاريخ، والتحذير من الانحراف عن طريق الهداية، وبيان سنن الله في الأمم، لتصل في خاتمتها إلى بيان عجز الإنسان وضعفه أمام علم الله وإظهار عظمة الله سبحانه، وقدرته، حيث يقول الله تعالى: "وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدل وكبره تكبيرا"، فهذا ختام فيه من تعظيم الله ما يليق بجلاله،

وبين النهاية التي تُظهر عجز البشر وثبتت كمال الله المطلق، والبداية التي تُمجّد الله وتنزهه، وتُرفع من شأن عبودية النبي، تبين رسالة السورة الكبرى، وهي أن الله وحده هو المستحق للعبادة والطاعة، فلا يُشرك به شيء، ولا يُعبد سواه، لأن كل ما سواه عاجز، ضعيف، محتاج، فثبت من خلال

197: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج: 13، ص: 199

198: روح المعاني، ج: 9، ص: 270

199: التحرير والتنوير، ج: 18، ص: 136.

هذه السياقات المحكمة أنّ لا معبود بحقّ إلا الله، فكان في هذا إثبات واضح لكلمة التوحيد: "لا إله إلا الله"، التي هي أصل الدين وروحه، ومقصد الرسالات السماوية كافة.²⁰⁴

1-- وهذا ماساقه الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر" حيث قال: {وقل الحمد} أي الإحاطة بالأوصاف الحسنى {لله} أي الملك الأعظم {الذي لم يتخذ} لكونه محيطاً بالصفات الحسنى {ولدًا} فإن ذلك لا يكون إلا للحاجة وبالحاجة وهي من أسوأ الأوصاف {ولم يكن} أي يوجد بوجه من الوجوه {له شريك في الملك}²⁰⁵ ولا ولد ولا غيره فإن ذلك لا يكون إلا بالعجز {ولم يكن له ولي} ناصر أعم من أن يكون ذلك الناصر ولدًا أو شريكًا أو غيره: ثم قيده واصفًا بقوله تعالى: {من الذل} إفهاماً بأن له أولياء جاد عليهم بالتقريب وجعلهم أنصاراً لدينه رحمة منه لهم لا احتياجاً منه إليهم {وكبره} عن أن يشاركه أحد في شيء من الأشياء وعن كل ما يفهمه فاهم، ويصفه به واصف، والتكبير أبلغ لفظ للعرب في معنى التعظيم والإجلال - قاله أبو حيان. وأكد بالمصدر تحقيقاً له وإبلاغاً في معناه، أي فقال: {تكبيراً} عن أن يدرك أحد كنه معرفته أو يجهله أحد من كل وجه، بل احتجب سبحانه بكبريائه وجلاله فلا يعرف، وتجلي بإكرامه وكماله فلا ينكر، فكان صريح اتصافه بالحمد أنه تعالى متصف بجميع صفات الكمال، وصريح وصفه بنفي ما ذكر أنه منزّه عن شوائب النقص وأنه أكبر من كل ما يخطر للعباد المطبوعين على النقص المجبولين على غزائر العجز، ولذلك وغيره من المعاني العظمى سمى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذه الآية آية العز كما رواه الإمام أحمد عن سهل عن أبيه رضي الله عنهما، وذلك عين ما افتتحت²⁰⁶

2-- وهذا عين ما قرره الشيخ قطان في تفسيره "تفسير القطان" حيث قال:

وتختم السورة كما بدئت بحمد الله وتقرير وحدانيته بلا ولد ولا شريك، وتنزيهه عن الحاجة الى الولي والنصير، وهو العلي الكبير. {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذَّلِّ وَكَبِّرُهُ تَكْبِيرًا}. فالله سبحانه وتعالى غني عن كل معين ان نصير او شريك او ولد، وهو مالك هذا الملك، وهو اكبر من كل شيء، فكبره تكبيرا²⁰⁷

204: رشد القرآن، ج: 4، ص: 139.

205: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 11، ص: 540

206: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 11، ص: 541

207: تفسير القطان ج: 2، ص: 364

3-- وهذا عين ما أثبتته سيد قطب إبراهيم في تفسيره "ظلال القرآن" وتختتم السورة كما بدأت بحمد الله وتقدير وحدانيته بلا ولد ولا شريك، وتنزيهه عن الحاجة إلى الولي والنصير. وهو العلي الكبير. فيلخص هذا الختام محور السورة الذي دارت عليه، والذي بدأت ثم ختمت به: «وَقُلِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ. وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا»²⁰⁸

المثال السادس:

للمرابط بين بداية سورة النمل ونهايتها، إليكم مفهوم مقاله الشيخ أسيد الله . رحمه - مع التوضيح ، بدأت سورة النمل بالترغيب إلى القرآن الكريم، حيث دعت إلى التأمل في آياته واتباع هديه، وهذا يدل على أهمية القرآن كمصدر للهداية والنور للمؤمنين. وقد انتهت السورة بقول الله تعالى: "وقيل الحمد لله"، وهو ختام يحمل في طياته دلالة عظيمة، إذ يُرشد المسلمين إلى أن يُنْهوا كل أعمالهم، ولا سيما الأعمال الصالحة، بحمد الله وشكره والثناء عليه. ففي هذا تعليم نبيل وتوجيه رفيع للمؤمن، أن يدرك أن التوفيق لأداء الأعمال الصالحة ليس من جهده فقط، بل هو نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، وإحسان كبير يختص به من يشاء من عباده. ولذلك فإن شكر الله والثناء عليه بعد إتمام العمل دليل على الاعتراف بفضل الله وتوفيقه، واعتراف بأن كل خير يصيبه الإنسان إنما هو بفضل الله وحده، لا بسعيه المجرد.²⁰⁹

1-- وهذا ما نجده عند الإمام البقاعي أيضا بالاختصار حيث قال: فقد رجع آخرها كما ترى بإبانة الكتاب وتفخيم القرآن وتقسيم الناس فيه إلى مهتد وضال إلى أولها، وعانق ختامها ابتداءها بحكمة منزلها، وعلم مجملها ومفصلها، إلى غير ذلك²¹⁰

المثال السابع:

للمرابط بين بداية سورة الحشر ونهايتها، إليكم مفهوم مقاله الشيخ أسيد الله . رحمه الله - مع التوضيح: يتجلى الرابط بين بداية سورة الحشر ونهايتها في تكرار وتأكيد الدعوة الرئيسية التي وردت في بداية السورة، حيث تبدأ السورة بإعلان تنزيه الله سبحانه وتعالى عما لا يليق بجلاله، وتُفتتح بقوله تعالى: "سُبْحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ"، وجاءت هذه الآية الكريمة بصيغة الماضي «سُبِّحَ»، وهي

208: ظلال القرآن ج:4، ص:2254

209: رشد القرآن، ج: 5، ص:366.

210: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج:14، ص:231

تدل على أن جميع المخلوقات قد سبّحت الله بالفعل في زمنٍ ماضٍ ، ما يشير إلى ثبوت هذا الأمر وتحقيقه منذ الأزل، وأن التسبيح قد حصل فعلاً واستقر وقوعه في الزمان الماضي، وهذا يُعبّر عن أصل من أصول الإيمان، وهو اعتراف كل شيء بربوبية الله وتنزيهه عن كل نقص، منذ أن خُلِق الكون ومخلوقاته. ثم رأينا أن السورة تنتهي بآيات تُعيد تأكيد نفس هذه الحقيقة الإيمانية الكبرى، ولكن هذه المرة بصيغة أخرى وهي صيغة المضارع، كما في قوله تعالى: "يسبّح لله ما في السماوات وما في الأرض"، وتدلّ هذه الصيغة على الاستمرار والتجدد، وتُفيد أن هذا التسبيح لا ينقطع، بل هو دائم لا يتوقف، وأن الكائنات تواصل تسبيح خالقها في كل وقت وحين. فهنا نجد أنّ السورة قد بدأت بالتسبيح وانتهت به، ولكن بصيغتين مختلفتين: الماضي والمضارع، وفي ذلك إشارة بليغة وعميقة إلى أنّ هذا التنزيه لله عزّ وجلّ ليس مجرد فعل وقع في الماضي وانتهى، بل هو فعلٌ مستمر، قائم، متجدد، لا يعرف الانقطاع، فقد ابتداءً منذ الأزل وسيتمدد إلى الأبد، من غير فتور ولا انقطاع.

إن هذه الصياغة البلاغية المتقنة في بداية السورة ونهايتها، وما تحمله من دلالات دقيقة، تعكس انسجاماً كاملاً في البناء القرآني، حيث يظهر الافتتاح والخاتمة وكأنهما إطار واحد لفكرة محورية، وهي شمولية تسبيح المخلوقات كلها لله في كل الأزمنة، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، مما يُضفي على السورة وحدة موضوعية متكاملة تؤكد المقصد الأعلى لها، وهو تعظيم الله وتمجيده، والتنبيه إلى أن كل ما في الكون خاضع لعظمته، مُسبّح بحمده، ومُقرّ بكماله.²¹¹

1--وقد جاء كلام الشيخ قطان مخالفاً لما قرر الشيخ أسيد الله حيث قال: ثم وصف الله تعالى نفسه بجليل الأسماء والصفات التي هي سرُّ العظمة والجلال ، وذكر ان عظمة القرآن جاءت من عظمة الخالق ، فأورد سبحانه احدَ عشر اسماً من أسمائه الحسنی فسّرناها باختصار في اول هذه الآيات ، فهو الإله الذي لا ربَّ غيره { لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى } يسبّح له ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم .وقد شرحنا التسبيح فيما مضى ، ونجىء هذه التسبيحة المديدة بأسماء الله الحسنی بحسن الختام .²¹²

2-- قد وافق الإمام البقاعي ما ذكره الشيخ أسيد الله إلا أن الشيخ أسيد الله فصل القول بينما الإمام البقاعي اختصر حيث قال: وقد انعطف على افتتاحها وختامها وعانق ابتداؤها تمامها، ووفى مطلعها

211: رشد القرآن، ج: 7، ص: 251

212: تفسير القطان ج: 3، ص: 322

مقطعها، وزاد وبلغ الغاية من الإرشاد إلى سبيل الرشاد، فسبحان من أنزله برحمته رحمة للعباد، وهادياً إلى الصواب والسداد.²¹³

المثال الثامن:

للمرابط بين نهاية سورة التحريم وبدايتها: إليكم مفهوم ماقاله الشيخ أسيد الله رحمه الله -مع التوضيح إن سورة التحريم من السور المدنية التي تبين جانباً خاصاً من حياة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وكان لها طابع توجيهي تربوي عميق، يُخاطب الله تعالى فيه المؤمنين وخاصة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ويوجههم إلى ضرورة الطاعة التامة، والحذر من مخالفة أوامر الله ورسوله، ولو كان ذلك من أقرب الناس نسباً ومكانة. ومن أبرز ما يلفت النظر في هذه السورة المباركة، هو التناسق البديع والمربط الدقيق بين بدايتها وختمها، حيث يضرب الله تعالى في آخرها مثلين عظيمين، لكل من الكافرين والمؤمنين، وفي هذين المثلين توجيه عميق وربط وثيق بما جاء في مطلع السورة من أحداث وأحكام. أولاً: المثل المضروب للكافرين: قال الله تعالى في ختام السورة:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتِ نُوحٍ وَامْرَأَتِ لُوطٍ، كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ، فَخَانَتَاهُمَا، فَلَمْ يَغْنَبْا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاحِلِينَ²¹⁴﴾

في هذا المثل تذكير وعبرة بأن النسب أو القربى من الأنبياء لا تُجدي نفعاً ما لم يكن هناك إيمان وطاعة. امرأتا نوح ولوط عليهما السلام كانتا زوجتين لنبيين كريمين من أنبياء الله، ومع ذلك فإنهما خانتاهما، والخيانة هنا ليست خيانة فاحشة بل هي خيانة في الدين، حيث لم تؤمنا برسالتيهما. وهذه الخيانة أبطلت كل قيمة للصلة الزوجية، فلم ينفعهما صلاح أزواجهما في دفع عذاب الله عنهما، ودُعيتا للدخول في النار مع الداخلين.

والمرابط بين هذا المثل وما جاء في بداية السورة ظاهر، فإن السورة بدأت بذكر حادثة خاصة داخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، حين أسرَّ إلى بعض أزواجه حديثاً، فأذاعت إحداهن هذا السر إلى الأخرى. قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا، فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ²¹⁵﴾

213: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 19، ص: 482

214: التحريم: 10.

ففي هذه الآية تلميح إلى نوع من الخيانة، وهي إفشاء سرٍّ خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أمر فيه مخالفة للأمانة والاحترام الواجب لشخص النبي، فناسب أن تُحتتم السورة بذكر امرأتين خانتا زوجيهما النبيين، وأن هذه الخيانة كانت سبباً في دخول النار، رغم قريهما من رجال صالحين بل من صفوة خلق الله. فهذا تذكير وتحذير لأزواج النبي، ولكل من له صلة بال صالحين، أن هذه الصلة لا تنفع وحدها دون الإيمان والطاعة.

ثانيًا: المثل المضروب للمؤمنين:

ثم ضرب الله تعالى مثلاً آخر، هو المثل المقابل للمثل الأول، فقال عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ، إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ، وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ²¹⁶﴾

في هذا المثل مدح وتكريم لامرأة مؤمنة، هي آسيا بنت مزاحم، زوجة فرعون الطاغية الجبار. ورغم أنها كانت زوجة لرجل كافر متكبر ظالم، إلا أنها لم تتأثر ببيئتها الكافرة، بل ثبتت على الإيمان، ورفعت دعاءها إلى الله، وسألت الجنة، فاستحقت أن تكون قدوة للمؤمنات، وأن يُضرب بها المثل في الثبات والصدق.

وهذا المثل أيضاً له علاقة وثيقة ببداية السورة، حيث بدأ الله تعالى بذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وعاتبهن بلين وحكمة على بعض التصرفات التي لم تكن لائقة بمقامهن، مما يدل على أن القرب من النبي لا يكفي إن لم يُصاحبه تقوى وطاعة. ثم في ختام السورة ذُكرت آسيا ومريم، وهما من أعظم النساء في الإيمان، وقد ورد في بعض الروايات أنهنَّ سيكونن زوجات للنبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، مما يشير إلى أن النهاية كانت أيضاً بذكر النساء الطاهرات المطهرات، تماماً كما بدأت السورة بذكر أزواج النبي الكريم.

فهكذا نجد أن سورة التحريم بدأت بذكر بعض نساء النبي وذكر خيانات محدودة في التصرف، وانتهت بذكر نساء من أهل الإيمان والكمال، وكأنها تشير إلى مسار التربية الربانية، وتوجيه النساء إلى القدوة

215: التحريم: 3.

216: التحريم: 11.

الطاهرة، وضرورة الاقتداء بالصالحات وترك مسالك الخيانة والتقصير، مهما كانت الصلة بالنبى أو بالأنبياء.²¹⁷

1-- وهذا ما نجده عند الإمام البقاعي أيضاً ما ذكره الشيخ إلا أن الشيخ أسيد الله فصل القول بينما الإمام البقاعي اختصر حيث قال: وقد أتم سبحانه الأمثال في الآداب بالثيبات والأبكار والأخيار والأشرار، فانعطف آخر السورة على أولها في المعاني بالآداب، وزاد²¹⁸ ذلك حسناً كونها في النساء وفي الذوات والأعيان بزواج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران في الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار الزواج الأبدى فصار أول السورة وآخرها في أزواجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي ختامها بالقنوت الذي هو خلاصة الأوصاف الماضية في الأبدال المذكورات أعظم مناسبة - والله الهادي²¹⁹



الفصل الثالث:

217: رشد القرآن، ج: 7، ص: 335

218: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 20، ص: 214

219: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 20، ص: 215

اهتمام الشيخ ببيان المناسبات بين السور القرآنية

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بيانه للمناسبة بين مضمون السورتين المتجاورتين

المبحث الثاني: بيانه للمناسبة بين فواتح السورتين المتجاورتين.

المبحث الثالث: بيانه للمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمه ما قبلها.

هذا البحث يكون حول المناسبة بين السور على أساس أن ترتيبها توقيفي، بمعنى أن ترتيب السور بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم، وليس بعمل الصحابة رضي الله عنهم. وقبل أن أدخل في بيان المناسبة بين السور القرآنية من قبل الشيخ أود أن أبين مفهوم السورة أولاً:

مفهوم السورة:

قال صاحب لسان العرب:

"وَالسُّورَةُ مِنَ الْبِنَاءِ: مَا حَسُنَ وَطَالَ. الْجَوْهَرِيُّ: وَالسُّورُ جَمْعُ سُورَةٍ مِثْلُ بُسْرَةٍ وَبُسْرٍ، وَهِيَ كُلُّ مَنْزِلَةٍ مِنَ الْبِنَاءِ؛ وَمِنْهُ سُورَةُ الْقُرْآنِ لِأَنَّهَا مَنْزِلَةٌ بَعْدَ مَنْزِلَةٍ مَقْطُوعَةٌ عَنِ الْأُخْرَى وَالْجَمْعُ سُورٌ يَفْتَحُ الْوَاوُ... قَالَ (الرَّاعِي): وَيَجُوزُ أَنْ يُجْمَعَ عَلَى سُورَاتٍ وَسُورَاتٍ... وَالسُّورُ عِنْدَ الْعَرَبِ حَائِطُ الْمَدِينَةِ، وَهُوَ أَشْرَفُ الْحَيْطَانِ"²²⁰.

وقال الزركشي:

"وأما في الاصطلاح فقال الجعبري: حد السورة قرآن يشتمل على أي ذوات فاتحة وخاتمة وأقلها ثلاث آيات"²²¹.

وعرف الشيخ مناع القطان السورة بأنها: "هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع"²²².

وأيضاً قال: "والسور في القرآن أربعة أقسام، منها: الطوال، والمئين، والمثاني، والمفصل"²²³.

المبحث الأول: بيانه للمناسبة بين مضمون السورتين المتجاورتين

المطلب الأول:

²²⁰ - لسان العرب لابن منظور، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي: ص: 7، ج: 289، مكتبة الهلال.

²²¹ - البرهان في علوم القرآن للزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم: ص: 1، ج: 264، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.

²²² - مباحث في علوم القرآن للدكتور مناع القطان: ص: 140، ج: 1.

²²³ - مباحث في علوم القرآن للدكتور مناع القطان: ص: 145، ج: 1.

المناسبة بين مضمون السورتين المتجاورتين:

من إعجاز القرآن الكريم أنه متناسق ومترابط في سوره وآياته، مهما يكون البعد في نزولها زمنا فالسور تنزل في الأزمنة المختلفة ومضامينها مترابطة فيما بينها، فمن وجوه المناسبات بين السور أن ينظر الباحث إلى مضمون كل سورة، ومضمون ما قبلها وما بعدها، كما ذكر الشيخ أسيد الله رحمه الله عدة أوجه في المناسبة بين مضمون السورتين المتجاورتين، وإليكم بعض الأمثلة فيما يلي:

المثال الأول للتناسب بين مضمون سورة الفاتحة وسورة البقرة:

يذكر الشيخ أسيد الله رحمه الله الربط بين مضمون سورة البقرة بسورة الفاتحة بعدة طرق:

الربط الأول: ذكر في سورة الفاتحة: "إياك نعبد وإياك نستعين"

فقال في سورة البقرة: "ولا نعبد ولا نستعين كما فعل اليهود والمشركون".

وفي سورة آل عمران: "ولا نعبد ولا نستعين كما فعل النصارى".

وفي سورة النساء: "ونؤدي حقوق النساء برغبة، ونعطي صدقاتهن نخلة".

وفي سورة المائدة: "فأنزل علينا مائدة رحمتك وفضلك في الدنيا والآخرة".

الربط الثاني: تم طلب الهداية في سورة الفاتحة بقول الله تعالى: "اهدنا الصراط المستقيم"، فجاء

جواب ذلك في هذه السورة (البقرة) بقوله تعالى: "الم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين".

الربط الثالث: تم ذكر ثلاثة أصناف من الناس في سورة الفاتحة :

- 1 - المنعم عليهم
- 2 - المغضوب عليهم
- 3 - الضالين.

ونجد ذكر هذه الأصناف الثلاثة، هنا في سورة البقرة بنفس الترتيب، وهو ما يُعرف بـ "اللفّ

والنشر المرتّب":

أولاً، جاء بيان المنعم عليهم في قوله تعالى: "الذين يؤمنون بالغيب ... أولئك هم المفلحون"

أي: هم الذين أنعم الله عليهم بنعمة الهداية والفلاح.

وثانيًا، جاء ذكر المغضوب عليهم في قوله تعالى: "إن الذين كفروا سواء عليهم ءأندرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم". أي: أنهم مستحقون للغضب، فقد خُتم على قلوبهم.

ثالثًا، جاء ذكر الضالين في قوله تعالى: "ومن الناس ... وفُصِّل هكذا" أولئك الذين اشتروا الضلالة"، فمن حصلت له الضلالة، فهو من الضالين.

الربط الرابع: إن المحور المركزي لسورة الفاتحة هو قول الله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين"، وقد جاء هذا المعنى - أي التوحيد - مذكورًا في سورة البقرة ثلاث مرات لمقاصد مختلفة:

1. لإبطال الشرك في التصرف، كما في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"²²⁴، وهذا لإثبات أن الله هو الخالق المستحق للعبادة وحده دون غيره.

2. لإبطال الشرك في الأفعال، كما في قوله تعالى: "وإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ"²²⁵. وذلك لتأكيد أن الله هو الإله الواحد المستحق للألوهية.

3. لإبطال الشرك في الشفاعة، كما في قوله تعالى: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ. لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ. وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"، حيث يبين أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله، مما ينفي أي تصور للوساطة بغير إذنه. وبهذا يظهر أن توحيد الله في العبادة، وفي الأفعال، وفي الشفاعة هو الموضوع الذي يربط بين الفاتحة والبقرة، مما يبرز أهمية التوحيد في التصور الإسلامي"²²⁶.

1- وقد جاء كلام الشيخ عبد السلام الرستمي موافقا لما قرره الشيخ أسيد الله في بيان التناسب بين سورة الفاتحة وسورة البقرة حيث ذكر وأكد كلاهما على أن البقرة تأتي تفصيلا

²²⁴ - البقرة: 21

²²⁵ - البقرة: 163

²²⁶ -رشد القرآن ، ج:1، ص:74.

لما أجملت سورة الفاتحة مع اختلاف بيان العرض فقط دون أي مخالفة في المضمون أو الحقيقة الواقعية للربط بين السورتين. فقد قال ما معناه :

يظهر الربط بين سورة البقرة وسورة الفاتحة في عدة وجوه: أن سورة الفاتحة تقدم إجمالاً لمضامينها، بينما سورة البقرة تفصل هذه المضامين.

وطريقة التفصيل فيمايلي:

1. ذكر في الفاتحة الحمد لله، وفي البقرة يتم بيان أسماء الله الحسنى وصفاته المتعلقة بالخلق والربوبية.

2. ذكر في الفاتحة رب العالمين، وفي البقرة يُثبت الربوبية لله تعالى في الآيات 21، 22، 28، 29، 30، و164.

3. ذكر في الفاتحة الرحمن الرحيم، وفي البقرة يظهر أثر الرحمة في النعم، خاصة على بني إسرائيل، وعامة الناس.

4. ذكر في الفاتحة المالك، وفي البقرة يُفصل ملك الله في آية الكرسي (255).

5. ذكر في الفاتحة يوم الدين، وفي البقرة يُذكر التخويف والبشارة في الآخرة وفق طريقة الجزاء.

6. ذكر في الفاتحة إياك نعبد، وفي البقرة يُثبت هذا الادعاء بالأدلة في الآية 21، وبوصية يعقوب عليه السلام في الآية 133.

7. ذكر في الفاتحة إياك نستعين، وفي البقرة يُوضح حاجة الإنسان إلى الله تعالى في الخلق والتربية، مع تعابير متعددة.

8. ذكر في الفاتحة طلب الهداية إلى الصراط المستقيم، وفي بداية البقرة يُذكر استجابة هذا الطلب، وبيان الكتاب كهدى، والترغيب في صدق الكتاب.

9. ذكر في الفاتحة ثلاثة أقسام من الناس، وفي بداية البقرة يُفصل أوصاف هؤلاء وأحوالهم.

10. ذكر في الفاتحة الذين أنعمت عليهم، وفي البقرة يُذكر مصادفهم، وصفاتهم، وبعض الأنبياء عليهم السلام إجمالاً (إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، موسى، عيسى، وأنبياء آخرون)، وذكر طالوت وأصحابه المجاهدين.

11. ذكر في الفاتحة المغضوب عليهم، وفي البقرة يُذكر مصادفهم وبعض أسباب الغضب واللعن.

12. ذكر في الفاتحة الضالين، وفي البقرة يُذكر بعض أسباب الضلال.²²⁷

المثال الثاني: للتناسب بين مضمون سورة المائدة وسورة الأنعام:

الربط الأول: يتجلى أول وجه من وجوه الربط بين سورة الأنعام وسورة المائدة في أن الله سبحانه وتعالى قد وعد بإنزال مائدة من رحمته على عباده، وهذا الإنزال ليس مطلقاً، بل هو مشروط بشرطٍ ظاهر، وهو أن لا يعين العباد من أنعامهم شيئاً لغير الله عز وجل، وألاً يُقربوا تلك الأنعام أو غيرها لغيره، ولا يشترعوا من تلقاء أنفسهم تحريمات لم يُنزل الله بها سلطاناً، وذلك كما جاء في قوله تعالى في سورة الأنعام في الآية رقم (136): "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائهم"، مما يدل على ضرورة خلو العبادة والتصرف في الأموال من أي شائبة شركية، سواء في التقرب أو التحريم.

الربط الثاني: قد تكرر في سورة الأنعام المضمون الأساسي لسورة المائدة، وهو نفي الشرك الاعتقادي ونفي الشرك الفعلي، إلا أن أسلوب الطرح فيه قد تبدل من حيث الترتيب والمجال. قد جرى في سورة المائدة، عرض نفي الشرك الفعلي أولاً، ثم تبعه الكلام عن نفي الشرك الاعتقادي.

أما في سورة الأنعام فقد جاء الترتيب بالعكس؛ إذ بدأ السياق بنفي الشرك الاعتقادي من بداية السورة إلى الآية رقم (117)، ثم انتقل بعد ذلك إلى نفي الشرك الفعلي، من الآية رقم (118) إلى نهاية السورة. وهذا يُظهر في أسلوب القرآن الكريم في معالجة موضوع التوحيد ومحاربة الشرك، بما يناسب أحوال المخاطبين وحاجة السياق تنوعاً بلاغياً وتربوياً.

الفرق بين مضموني السورتين من حيث عرض نفي الشرك:

أولاً: نفي الشرك في التصرف:

1. نجد في سورة المائدة، أن الذين يحملون العقيدة الشركية قد وُصِفوا بالكفر بشكلٍ واضح، مثل قول الله تعالى: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم"، وكذلك قوله سبحانه: "لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة"، وهذا يُظهر أن السورة تركز على إعلان الحكم بكفر أهل الشرك، ولكن دون التفصيل في عرض الحجج والبراهين الدامغة.

²²⁷ أحسن الكلام، ج: 1، ص: 37.

أما في سورة الأنعام، فلا توجد تلك التصريحات الصريحة بالكفر، ولكن في المقابل، نجد كثرة وتنوعاً في الأدلة التي تُفند الشرك وتُرسخ التوحيد في نفوس الناس.

2. كما أن موضوع نفي التصرف أو العلم بالغيب عن عيسى ومريم عليهما السلام في سورة المائدة كان موجهاً خصيصاً إلى النصارى، فجاء الخطاب خاصاً. بينما في سورة الأنعام، فإن الخطاب أوسع وأشمل، حيث لا يقتصر على فئة بعينها، وإنما يتوجه إلى المشركين من العرب وغيرهم، وكل من سولت له نفسه أن يجعل لله شريكاً في التصرف أو العبادة.

3. وامتازت سورة الأنعام بأنها تناولت الشبهات التي يثيرها المشركون حيال قضايا التوحيد والشرك، حيث تم ذكر أسئلتهم واعتراضاتهم، بعضها ورد بشكل صريح، وبعضها الآخر جاء ضمن الأجوبة التي وردت في سياق السورة. كما عرضت السورة منهج الدعوة إلى التوحيد، وبيّنت أسلوب التبليغ الصحيح، ووضعت أصول إشاعة التوحيد في المجتمعات، وهي عناصر لم تتعرض لها سورة المائدة على هذا النحو المفصّل.

4. كذلك عرضت سورة الأنعام الأسباب النفسية والعقلية التي دفعت المشركين إلى رفض التوحيد وإنكاره، وهذه الأسباب تساهم في فهم طبيعة الجدل العقائدي الذي كان قائماً آنذاك، بينما لم يتم التطرق إلى هذه الأسباب في سورة المائدة.

ثانياً: نفي الشرك الفعلي:

1. في سورة المائدة، تم التطرق إلى مسألة تحريم ما لم يُحرّمه الله، كذكر البحيرة والسائبة ونحوهما، وكان ذلك ضمنياً، أي لم يُفصّل الأمر بتوسع. أما في سورة الأنعام، فقد وردت تلك المسائل مع شرح أوسع وبيانٍ لأقسام متعددة من التحريمات التي ابتدعوها، مما أعطى تصوراً أوفى عن تلك البدع الشركية.

2. كذلك نجد أن في سورة المائدة، عند الحديث عن النذر لغير الله، تم التعرّض لحكم ما ذُبح لغير الله بشكل صريح، أما بقية الأحكام المرتبطة بالشرك الفعلي فقد ذُكرت بشكل غير مباشر أو ضمني. أما في سورة الأنعام، فإن تلك الأحكام قد وردت صراحة، ودُكر إلى جانب المذبح لغير الله غيره من التصرفات المنحرفة في الدين.

3. وتميزت سورة الأنعام أيضًا بأنها نقلت لنا حجّة المشركين في الشرك وردّت عليها. ومن ذلك قولهم: "ولو شاء الله ما أشركنا"، فجاء الردّ المفصّل عليهم في نفس السياق، وهو ما لم يكن موجودًا في سورة المائدة.

4. كما أن سورة الأنعام احتوت على أدلة نقلية وأخرى قائمة على الوحي من الله عز وجل في نفي الشرك الفعلي، ومن ذلك قوله تعالى: "ثم آتينا موسى الكتاب"، وقوله أيضًا: "وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه"، مما يدل على الاستناد إلى الرسل والكتب السماوية في دعوى التوحيد، وهو ما لم يُذكر بنفس القوة في سورة المائدة.

5. أما ما يخص النذر لله تعالى، فإنه لم يُذكر في سورة الأنعام بشكل صريح، لكن بقيّة أقسام التحريم التي ابتدعها المشركون قد تم عرضها وبيان بطلانها.²²⁸

وقد جاء كلام الشيخ عبد السلام الرستمي موافقا لما قرره الشيخ أسيد الله في بيان التناسب بين سورتي المائدة والأنعام، حيث يرى كلامهما أن المناسبة بين السورتين تقوم على تقرير التوحيد ونفي الشرك، وأن سورة الأنعام جاءت تفصيلًا وبيانا لما اشتملت عليه سورة المائدة من مقاصد عقديّة وتشريعية، إلا أن الشيخ عبد السلام أجمل المعنى حيث فصله الشيخ أسيد الله، فقال: ترتبط سورة الأنعام بسورة المائدة بعدة وجوه:

الوجه الأول: كان في سورة المائدة ترغيبٌ، إلى الوفاء بالعهود والمواثيق، وخاصة ما يتعلق بالحرم والحلال، كما فيها ردٌّ على شرك النصارى. فوردت سورة الأنعام لتفصيل المقصد الأصلي، وهو تقرير التوحيد وبيانه بالأدلة والبراهين.

الوجه الثاني: اشتملت سورة المائدة على دعوى التوحيد والرد على الشرك، فجاءت سورة الأنعام لتذكر الأدلة العقلية والنقلية على ذلك، مع بيان أسلوب الدعوة ورفع التكاليف عنها.²²⁹

المثال الثالث: للتناسب بين مضمون سورة القصص وسورة العنكبوت:

²²⁸. رشد القرآن في تفسير آيت القرآن ج: 2، ص: 63، 362.

²²⁹: أحسن الكلام، ج: 4، ص: 203.

يذكر الشيخ أسيد الله - رحمه الله - الربط بين مضمون سورة القصص بسورة العنكبوت بعدة طرق:

الربط الأول: من جهة الابتلاء والتوحيد.

في سورة القصص ورد ذكر ما سيتعرض له النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أذى وشدائد ومشاق كثيرة في سبيل تبليغ دعوة التوحيد، تماماً كما تعرض لها نبي الله موسى عليه السلام، حيث بيّنت السورة ما لاقاه موسى من ظلم فرعون وطغيانه، وكيف واجه تلك التحديات العظيمة في سبيل دعوة قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكان في ذلك تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم وبيان لما ينتظره من صبر ومجاهدة. أما في سورة العنكبوت، فانتقل الخطاب ليشمل عموم المؤمنين، حيث أوضحت السورة الكريمة أن كل من آمن بالله واتبع سبيل الهدى سيواجه لا محالة الابتلاءات والفتن في دينه، وأن هذا الأمر سنة ماضية في حق أهل الإيمان، فلا يظن أحد أن يقول "آمنا" ثم يترك بلا امتحان، بل إن طريق الإيمان مخوف بالاختبارات، وعلى المؤمنين أن يشبّثوا كما ثبت من قبلهم الأنبياء وأتباعهم الصالحون.

الربط الثاني: من جهة تسليّة المؤمنين وتعليم الصبر.

وفي سورة القصص أيضاً جاء ذكر طغيان فرعون وظلمه وعلوه في الأرض بغير الحق، حيث قال الله تعالى: "إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً..."، فصوّرت السورة مدى الظلم الذي مارسه فرعون وجنوده على بني إسرائيل، وبيّنت ما كان عليه من استكبار واستبداد. وفي مقابل ذلك، جاءت سورة العنكبوت لتخاطب أمة محمد صلى الله عليه وسلم بخطاب تسليّة وتعليم، فبيّنت أن ما يمر به المسلمون من أذى واضطهاد في سبيل الدين ليس أمراً جديداً، بل هو امتداد لما جرى للأمم السابقة، فكما صبر أولئك المؤمنون الأوائل أمام المصاعب العظيمة، فعلى المسلمين كذلك أن يتحلّوا بالصبر والثبات، وأن لا يستعجلوا النصر، بل يدركوا أن طريق الإيمان يحتاج إلى عزيمة وصبر طويل.

الربط الثالث: من جهة التشجيع من خلال سورة القصص.

وأما من جهة التشجيع والدعم النفسي، ففي سورة القصص جاء التشجيع للمؤمنين عامة وللنبي خاصة من خلال ذكر قصة موسى عليه السلام، وما فيها من ابتلاءات ومواقف عظيمة، حيث أظهر الله تعالى كيف نجّى موسى من كيد فرعون، وكيف جعل له مخرجاً بعد أن أحاطت به الشدائد، فكان في ذلك تقوية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم. وفي سورة العنكبوت جاء التشجيع أيضاً ولكن

من خلال عرض نماذج متعددة من أنبياء الله السابقين، مثل نوح وإبراهيم عليهما السلام وغيرهما، حيث بُيِّنَت المحن التي مروا بها، وكيف صبروا واحتسبوا وثبتوا في وجه التهديدات والمصاعب، حتى جاءهم نصر الله، فكان في ذكر هذه القصص دلالة على أن العاقبة للمتقين، وأن الصبر هو السبيل إلى الظفر والنصر، مهما طال الطريق واشتد البلاء²³⁰.

وقد أثبت الشيخ عبد السلام ماذهب إليه الشيخ أسيد الله في بيان الربط بين سورتي القصص والعنكبوت إذ يرى كلٌّ منهما أن الربط بين السورتين يقوم على محور الابتلاء في سبيل التوحيد، وتسليية المؤمنين بما جرى للأنبياء من محن وصبر وثبات وجاءت سورت العنكبوت متممة ومؤكدة لما جاء في سورة القصص من تسليية وتشجيع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه، إلا أن الشيخ عبد السلام ذكر مجملاً ما فصله الشيخ أسيد الله وأضاف إشارة مختصرة إلى البعد العقلي في تقرير التوحيد فقال: ترتبط سورة العنكبوت بسورة القصص في عدة وجوه:

الوجه الأول:

شُجِعَ المؤمنون في سورة القصص من خلال واقعة موسى عليه السلام، وشُجِعَ أيضاً في سورة العنكبوت من خلال ذكر وقائع نوح وإبراهيم ولوط وشعيب عليهم السلام.

الوجه الثاني:

كان التشجيع عامًّا في سورة القصص عند وقوع المصائب، أما في سورة العنكبوت فقد جاء تفصيل لهذه المصائب التي تعرض لها الأنبياء.

الوجه الثالث:

دُكِرَتْ في سورة القصص دلائل عقلية في مسألة التوحيد لإثباته، وأما في سورة العنكبوت فقد دُكِرَتْ الأمثلة لتوضيح هذه المسألة.²³¹

المثال الرابع: للتناسب بين مضمون سورة النساء بسورة آل عمران :

²³⁰:رشد القرآن في تفسير آيت القرآن ج: 5، ص: 473

²³¹:أحسن الكلام، ج:6، ص:492

يذكر الشيخ أسيد الله -رحمه الله - الربط بين مضمون سورة النساء بسورة آل عمران فيقول: تتصل سورة النساء اتصالاً وثيقاً بسورة آل عمران من حيث المضمون والترتيب ، ويرجع هذا الاتصال في أساسه إلى ما ورد في سورة البقرة، التي تُعدُّ بمنزلة الأصل الجامع والأساس المحوري لمضامين القرآن الكريم، وخاصة في ما يتعلق بالجانب العقدي والتشريعي والاجتماعي. فقد اشتملت سورة البقرة على عرض شامل لموضوع التوحيد، ونفي الشرك بجميع صورته، سواء كان شركاً اعتقادياً يتعلق بتصور الذات الإلهية، أو شركاً عملياً يتمثل في توجيه العبادات لغير الله، أو شركاً في الشفاعة حين تُنسب لأحدٍ غير الله صلاحية الشفاعة المطلقة. كما تضمنت السورة مسائل تتعلق بالرسالة، وبالأوامر المرتبطة بالجهد في سبيل الله، والإنفاق في مصالح الدين، إضافةً إلى تنظيم بعض الأمور الإدارية، ووضع قواعد لمراعاة المصالح العامة.

أما في سورة آل عمران، فقد جرى التركيز على بعض هذه المضامين مع التوسع في الرد على الشبهات المثارة حولها، فقد تكرر فيها الحديث عن التوحيد ونفي الشرك من الناحية الاعتقادية، كما تم التأكيد على صدق الرسالة المحمدية، ودحضت الشبهات التي أثارها أهل الكتاب والمشركون في هذا السياق. كذلك ورد فيها ذكر للجهد وأهميته، والحث على الإنفاق في سبيل الله، مما يُظهر نوعاً من الامتداد لمضامين سورة البقرة، مع التركيز على الجانب العقدي والرد الجدلي.

ثم تأتي سورة النساء لتكمل هذه التسلسل، حيث تُفصّل ما تم ذكره إجمالاً في السور السابقة، وخاصة في جانب الأمور الإدارية والتنظيمية. فتتوسع في بيان الأحكام المتعلقة بتنظيم المجتمع الإسلامي، من مثل أحكام الأسرة والموارث، والحقوق والواجبات، والمعاملات، وتنظيم العلاقات بين الأفراد والجماعات، مما يجعلها بمثابة تأسيس للنظام الاجتماعي في الدولة الإسلامية الناشئة، ومكمّلة في الوقت ذاته لما سبقها من التعاليم في السورتين الأوليين²³².

وهذا عين ما أشار إليه الشيخ عبد السلام الرستمي في تفسيره "أحسن الكلام" لكنه أكثر تفصيلاً في الوجوه وأوسع في التنويع بين الجوانب العقدية والاجتماعية والسياسية مع زيادة وجه جديد وهو تشابه الأطراف إليكم مفهوم مقاله فيما يلي:

يرتبط مضمون سورة النساء بسورة آل عمران بعدة وجوه:

²³² : رشد القرآن في تفسير آيت القرآن ج: 2، ص: 3.

الوجه الأول: في سورة البقرة كان الرد على قبائح اليهود، وفي سورة آل عمران جاء الرد على شبهات النصارى وضلالاتهم، أما في سورة النساء فقد ورد الرد على مظالم أهل الجاهلية، مع بيان إصلاح أحوال المؤمنين الاجتماعية والإنسانية.

الوجه الثاني: ذُكرت في السور السابقة (سورة البقرة) الأحكام المتعلقة بإصلاح أمور الآخرة، بينما في هذه السورة (سورة العنبر) ذُكرت الأمور المتعلقة بشؤون الحياة الدنيا.

الوجه الثالث: ورد الحديث في سورة آل عمران عن تهذيب النفوس وتزكيتها، أما في سورة النساء فجاء الحديث عن تدبير المنزل وشؤون السياسة المدنية والاجتماعية.

الوجه الرابع: ورد الرد في سورة آل عمران على من أشرك بالله تعالى بعض عباده الصالحين، كعيسى ومريم عليهما السلام، فجاء الرد على الشرك في سورة النساء بوجه عام، كما تضمن الرد على عقيدة النصارى في قولهم إن عيسى ابن الله.

الوجه الخامس: في نهاية السورة السابقة (آل عمران) ورَدَ الأمر بالتقوى، أما في مفتتح سورة النساء فجاء الأمر بالتقوى على نوعين: التقوى في حقوق الله، والتقوى في حقوق العباد، ولهذا النوع من الربط يُطلق تشابه الأطراف²³³.

المثال الخامس: للتناسب بين مضمون سورة المائدة بسورة النساء:

يذكر الشيخ أسيد الله -رحمه الله- الربط بين مضمون سورة المائدة بسورة النساء بطريقتين:

الربط الأول:

قد أعيدت المضامين التي جاءت في سورة البقرة مرة أخرى، ولكن هذه الإعادة جاءت على وجه التفصيل لمضمون نفي الشرك الفعلي، أي الأفعال والممارسات التي تدل على إشراك غير الله في العبادة والطاعة، و في سورة آل عمران كان التركيز على إعادة مضمون نفي الشرك الاعتقادي، أي العقائد الباطلة التي تؤدي إلى إشراك الغير مع الله في الألوهية أو الربوبية، وأما في سورة النساء فقد أُعيد منها مضمون يرتبط بتنظيم شؤون الحياة العملية والإدارية للمجتمع المسلم، وهذا يدل على تنوع موضوعات السور بحسب الحاجات المختلفة للمجتمع المسلم في مراحل متعددة.

²³³ أحسن الكلام، ج:3، ص:150

الربط الثاني: وفي ختام سورة النساء، ورد قول الله تعالى: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا»، وهو بيان ظاهر يدل على حرص الله سبحانه وتعالى على هداية عباده وتجنبهم مسالك الضلال، وقد جاء هذا المعنى في هذا الموضع؛ ليكون توطئة لما ورد في هذه السورة من ردٍّ شامل على كلا نوعي الشرك، سواء كان شركًا اعتقاديًا أو شركًا عمليًا، وذلك من أجل حماية المؤمنين من الانحراف عن الصراط المستقيم، وتثبيتهم على طريق التوحيد الخالص²³⁴.

وقد سار الشيخ عبد السلام الرستمي على نهج الشيخ أسيد الله في تقرير المناسبه بين السورتين غير أنه توسع في بيان وجوه الارتباط وأضفى على التحليل طابعا تفصيليا أدق مما يجعل تفسيره مكملًا ومعتمقا لما قرره الشيخ أسيد الله، حيث قال: ترتبط سورة المائدة بسورة النساء بعدة أوجه:

الوجه الأول: أن سورة النساء تناولت الرد على مظالم الجاهلية المتعلقة بالضعفاء من الخلق، أما سورة المائدة فقد جاءت بالرد على مظالم الجاهلية في باب الحلال والحرام.

الوجه الثاني: أن الخطاب في سورة النساء كان عامًا يرمي إلى كمال الإنسانية، بينما الخطاب في سورة المائدة خاصٌ يهدف إلى كمال الإيمان.

الوجه الثالث: أن سورة النساء ذكرت قبائح اليهود وردّت على شرك النصارى، أما سورة المائدة فقد نعت عن موالاتهم، وبيّنت أسباب ذلك، وذكرت شهادة عيسى عليه السلام يوم القيامة ردًا على النصارى²³⁵.

المثال السادس: للتناسب بين مضمون سورة الأنفال بسورة الأعراف:

يذكر الشيخ أسيد الله رحمه الله الربط بين مضمون سورة الأنفال بسورة الأعراف، فيقول: "تدور سورة البقرة من حيث المضامين الأصلية حول توحيد الله تعالى، ونفي الشرك الاعتقادي والفعلية وغيرهما، وكذلك بيان رسالة الأنبياء، وذكر الأمور المصلحية والتنظيمية، وموضوع الجهاد، فقد شُرح كل ذلك فيها. أما في السور التي بعد سورة البقرة، فقد ذُكر تفصيل بعض هذه المضامين: فذُكر في سورة آل عمران نفي الشرك الاعتقادي وإثبات الرسالة بتفصيل.

²³⁴: رشد القرآن: ج: 2، ص: 201.

²³⁵: أحسن الكلام، ج: 4، ص: 1.

وذكرت الأمور التنظيمية بتفصيل في سورة النساء.

وذكرت نفي الشرك الفعلي بتفصيل في سورة المائدة.

لكن لم تذكر مسألة الجهاد تفصيل واسع في السور السابقة؛ لذلك جاء في هذه السورة (أي: سورة الأنفال) تفصيل مسألة الجهاد بشكل واضح وموسع²³⁶.

وجاء كلام الشيخ عبد السلام الرستمي موافقا لما قرره الشيخ أسيد الله في المضمون، ولكنه مختلف في زاوية التحليل والمنهجية، حيث قال: ارتباط سورة الأنفال بسورة الأعراف يتم بوجهين:

الوجه الأول: أن سورة الأعراف اشتملت على التشجيع على بيان قضية التوحيد والدعوة إليها باللسان، أما سورة الأنفال فقد تضمنت الترغيب في القتال لأجل نشر قضية التوحيد وإعلاء كلمته.

الوجه الثاني: أنه بعد أن ثبت التوحيد بالأدلة في السور السابقة، جاء الأمر في سورة الأنفال بالقتال ضد المنكرين له²³⁷.



²³⁶: رشد القرآن في تفسير ج: 3، ص: 3.

²³⁷: أحسن الكلام، ج: 4، ص: 447.

المبحث الثاني: بيانه للمناسبات التي بين فواتح السورتين المتجاورتين:

المثال الأول:

يذكر الشيخ أسيد الله رحمه الله المناسبة بين بداية سورة الرعد وسورة إبراهيم، فيقول: إن في بداية سورة الرعد ذُكرت حقيقة القرآن الكريم، وفي بداية هذه السورة (إبراهيم) يُبيّن مقصد نزول القرآن الكريم، وهو لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ²³⁸.

المثال الثاني:

في بيان المناسبة بين بداية سورة الحج وسورة المؤمنون، يذكر الشيخ أسيد الله رحمه الله المناسبة بين بداية سورة الحج وسورة المؤمنون.

فيقول الشيخ أسيد الله رحمه الله كان في بداية سورة الحج، تخويف بالعذاب وزلزلة يوم القيامة، وفي بداية سورة المؤمنون، يُبيّن طريق النجاة وعلاج النجاة من شدة وعذاب يوم القيامة²³⁹.

المثال الثالث:

في بيان المناسبة بين بداية سورة الدخان وسورة الزخرف:

يقول الشيخ أسيد الله رحمه الله في بداية سورة الزخرف كان ترغيب إلى القرآن، وكذلك في بداية سورة الدخان أيضا يُذكر الترغيب إلى القرآن²⁴⁰.

وجدت في تفسير رشد القرآن الكريم ثلاثة أمثلة فقط تتعلق بمناسبات بين فواتح السور المتجاورة. حاولت البحث عن تأييد لهذه الأمثلة الثلاثة في التفاسير الأخرى، لكنني لم أتمكن من العثور على أي إشارة أو أمثلة مماثلة.



²³⁸: رشد القرآن في تفسير آيت القرآن ج:4، ص:694.

²³⁹ - رشد القرآن في تفسير آيت القرآن ج:4، ص:694.

²⁴⁰ - رشد القرآن في تفسير آيت القرآن ج:6، ص:458.

المبحث الثالث: بيانه للمناسبات بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها:

من أنواع المناسبة بين السور، المناسبة بين فاتحة السورة، بخاتمة السورة التي قبلها:

المثال الأول:

يذكر الشيخ أسيد الله . رحمه الله . المناسبة بين فاتحة سورة ال عمران وخاتمة ما قبلها فيقول: **ذَكَرَ فِي نَهايةِ سورةِ البقرةِ قوله تعالى: "فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ"، وَذَكَرَ فِي بَدَايةِ سورةِ آلِ عمرانَ أَوْلَئِكَ الْكَافِرُ الَّذِينَ طُلِبَ النَّصْرُ وَالْمَدَدُ فِي مَقَابِلَتِهِمْ أَثْنَاءَ الْحَاجَّةِ وَالْمَنَاطَرَةِ، وَهُمْ نَصَارَى نَجْرَانَ²⁴¹.**

1: وقد جاء كلام الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر" مخالفا لما قاله الشيخ أسيد الله حيث قال: ومناسبه هذا الأول بالإبتدائية لآخر ما قبلها أنه لما كان آخر البقرة في الحقيقة آية الكرسي وما بعدها إنما هو بيان؛ لأنها أوضحت أمر الدين بحيث لم يبق وراءها مرمى لمتنعت، أو تعجب من حال من جادل في الإلهية أو استبعد شيئا من القدرة ولم ينظر فيما تضمنته هذه الآية من الأدلة مع وضوحه، أو إشارة إلى الاستدلال على البعث بأمر السنابل في قالب الإرشاد إلى ما ينفع في اليوم الذي نفى فيه نفع البيع والحلة والشفاعة من النفقات، وبيان بعض ما يتعلق بذلك، وتقرير أمر ملكه لما منه الإنفاق من السماوات والأرض، والإخبار بإيمان الرسول وأتباعه بذلك، وبأنهم لا يفرقون بين أحد من الرسل المشار إليهم في السورة، وبصدقهم في التضرع برفع الأثقال التي كانت على من قبلهم من بني إسرائيل وغيرهم، وبالنصرة على عامة الكافرين؛ لما كان ذلك على هذا الوجه ناسب هذا الاختتام غايه المناسبة ابتداء هذه السورة بالذي وقع الإيمان به سبحانه وتعالى ووجهت الرغبات آخر تلك إليه؛ وأحسن منه أنه لما نزل إلينا كتابه فجمع مقاصده في الفاتحة على وجه أرشد فيه إلى سؤال الهداية ثم شرع في تفصيل ما جمعه في الفاتحة، فأرشد في أول البقرة إلى أن الهداية في هذا الكتاب، ويبن ذلك بحقية المعنى والنظم كما تقدم إلى أن ختم البقرة بالإخبار عن خلص عباده بالإيمان بالمنزل بالسمع والطاعة، وأفهم ذلك مع التوجه بالدعاء إلى المنزل له أن له سبحانه وتعالى كل شيء ويده النصر، علم أنه واحد لا شريك له حي لا يموت قيوم لا يغفل وأن ما أنزل هو الحق، فصرح أول هذه بما أفهمه آخر تلك، كما يصرح بالنتيجة بعد المقدمات المنتجة لها فقال: {الله} أي الذي لا يذل من والاه ولا يعز من عاداه؛ لأن له الإحاطة بجميع أوصاف الكمال والنزاهة الكاملة من كل شائبة نقص.

²⁴¹ - رشد القرآن في تفسير آيت القرآن ج/1 ص/

وقال الحارلي مشيراً إلى القول الصحيح في ترتيب السور من أنه باجتهاد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إقراراً لله سبحانه وتعالى لهذا الانتظام والترتيب السوي في مقرر هذا الكتاب: هو ما رضىه الله سبحانه وتعالى فأقره؛ فلما كانت سورة الفاتحة جامعة لكلية أمر الله سبحانه وتعالى فيما يرجع إليه، وفيما يرجع إلى عبده، وفيما بينه وبين عبده، فكانت أم القرآن وأم الكتاب؛ جعل مثني تفصيل²⁴².

المثال الثاني:

يذكر الشيخ أسيد الله رحمه الله . المناسبة بين فاتحة سورة هود وخاتمة ما قبلها. يقول: قيل في نهاية سورة يونس: "وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ"، ويُذكر في بداية هذه السورة (هود) مقصداً ما أُوحِيَ، وهو: "إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ".

ونجد أن الشيخ أسيد الله قد وافق ما قاله الإمام البقاعي رحمه الله في بيان المناسبة غير أن البقاعي زاد الأمر توضيحاً حيث قال: "لما ختمت السورة التي قبلها - كما ترى - بالحث على اتباع الكتاب ولزومه والصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتماداً على المتصف بالجلال والكبرياء والكمال. ابتدئت هذه بوصفه بما يرغب فيه، فقال بعد الإشارة إلى إعادة القرع بالتحدي على ما سلف²⁴³".

المثال الثالث:

يذكر الشيخ أسيد الله رحمه الله . المناسبة بين فاتحة سورة الحجر وخاتمة ما قبلها، يقول: دُكر التحويف في آخر سورة إبراهيم، ويُذكر في بداية سورة الحجر أيضاً²⁴⁴.

وقد ورد كلام الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر" مخالفاً لما قاله الشيخ أسيد الله حيث قال: لما ختم التي قبلها بعنوان الكتاب، ابتدأ هذه بشرح ذلك العنوان، وأوله وصفه بأنه جامع والخير كله في الجمع والشر كله في الفرقة، فقال تعالى: {الر تلك} أي هذه الآيات العالية المقام، النفسية المرام {آيات الكتاب} أي الكامل غاية الكمال الذي لا كتاب على الحقيقة غيره، الجامع لجمع ما يقوم به الوجود

²⁴² - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 4، ص: 198، 199.

²⁴³ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 9، ص: 224.

²⁴⁴ - رشد القرآن في تفسير آيت القرآن ج: 3، ص: 483.

من الخيرات، القاطع في قضائه من غير شك ولا تردد، الغالب بأحكامه القاهرة في وعده ووعيده وأحكامه في إعجازه لجميع من يعانده"²⁴⁵.

تم الفصل الثالث بحمد الله وفضله، وبه تم البحث.



²⁴⁵ - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج: 11، ص: 2.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد،

أشكر الله على أنه وفقني لتكميل هذه الرسالة وعلى أنه أعطاني الصحة والطاقة والفرصة لتحصيل العلم، وقد توصلت من خلال بحثي إلى بعض النتائج وأهمها مايلي:

1. أن علم المناسبات علمٌ مهمٌ يتوصّل به إلى فهم كتاب الله تعالى، وأنه يكشف عن وجهٍ من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

2. علم المناسبة جزءٌ من علم القرآن، إذ لا يمكن الفصل بينهما، لما بينهما من تلازم واتصال.

3. تُظهر هذه الدراسة عناية الشيخ أسيد الله رحمه الله بعلم المناسبات، حيث اعتمد عليه في تفسيره "رشد القرآن في تفسير آيات القرآن" وربط بين الآيات والسور ربطاً دقيقاً.

4. علم المناسبة يدلّ على كون الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم وحدةً متكاملة، تظهر من خلال ترابط الآيات والسور، ووضوح السياق العام.

5. أن المناسبات بين الآيات والسور موجودة دون شك، غير أن إدراكها يختلف باختلاف أنظار المفسرين ومدى تدبّرهم للنص القرآني.

6. أن المفسرين من السلف والخلف كتبوا في علم المناسبات لكن بعضهم برزوا فيه.

7. الشيخ أسيد الله جمع في تفسيره علومًا عدة لكنه تميز في بيان التناسب بين السور والآيات القائم على المعنى والسياق،

8. أن تفسير رشد القرآن يُبرز جانبًا من إعجاز القرآن الكريم، من حيث إحكام نظمته، وترابط آياته، ووحدة موضوعه، وهو ما يجعل هذا التفسير ذا قيمة علمية في الدراسات القرآنية

9. كما تبين أن الشيخ أسيد الله رحمه الله يستفيد من أقوال المفسرين السابقين،

10. وقد بينت الدراسة أنواع المناسبات بين الآيات والسور على النحو الآتي:

• المناسبة بين الجمل في الآية الواحدة.

• المناسبة بين الآيات المتجاورة.

• المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها.

- المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة السورة التي تليها.
- المناسبة بين فواتح السورتين المتجاورتين.
- المناسبة بين مضامين السورتين المتجاورتين.

التوصيات:

- وبناءً على ما توصلت إليه في هذا البحث، أودّ أن أقدم بعض التوصيات فيما يلي:
1. أرى أن يُجعل موضوع المناسبات بين السور والآيات جزءاً من مواد الدراسات القرآنية في التفسير وعلوم القرآن، لما في ذلك من إعانة على فهم مراد الآيات والكشف عن وحدة بنائها وترابط معانيها.
 2. أوصي بالاهتمام بالاتجاه التفسيري القائم على الربط وبيان التناسب بين الآيات، خصوصاً في ظل شيوع التفسير الموضوعي في هذا العصر، على أن يتم ذلك وفق ضوابط علمية منضبطة، بعيداً عن التكلف أو تحميل النص القرآني ما لا يحتمل.
 3. أوصي الباحثين بالحذر من سوء توظيف علم المناسبات، وعدم جعله وسيلة لتقديم الرأي العقلي المجرد على النصوص الشرعية أو لمخالفة المأثور الصحيح، إذ إن هذا العلم ينبغي أن يُستعمل في خدمة القرآن الكريم، لا في توجيهه وفق آراء مسبقة.
 4. أودّ أن أشير إلى أن تفسير الشيخ أسيد الله رحمه الله، المعروف بـ «تفسير رشد القرآن»، قد تم دراسة منهجه جزئياً، بينما ركزت في هذا البحث على مناسبات الآيات والسور. ويشتمل هذا التفسير على جوانب عقدية وفقهية لم يتم تناولها من قبل دراسة متخصصة، مما يتيح لأي باحث مستقبلي أن يتخذها موضوعاً لدراسته وأن يطور بحثاً مستقلاً حولها.
- وأخيراً، أرفع أسمى آيات الشكر والامتنان لله عز وجل، الذي وفقني ونصرني على إتمام هذا العمل، وأسأله أن يقبله مني قبولاً حسناً، ويجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وأن يحميني من فتنة القول والعمل. والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
1	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ	البقرة	172	35
2	لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا	البقرة	286	36
3	وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ	البقرة	286	40
4	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي	البقرة	21	80
5	إِنْ تَحْتَسِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ	النساء	30	50
6	وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ	النساء	31	50
7	وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ	الانعام	59	37
8	الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ	هود	1	16
9	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ	يوسف	108	43
10	(وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ	إبراهيم	14	9
11	وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ	إبراهيم	22	51
12	وَبَرُّوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ	إبراهيم	21	51

53	1	الإسراء	سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ	13
53	2	الإسراء	وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ	14
71	111	الإسراء	وَقُلْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا	15
27	33	المؤمنون	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...	16
40	118	المؤمنون	وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ	17
69	1	المؤمنون	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	18
26	58	النور	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ	19
55	28	النور	فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهُ	20
56	27	النور	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا	21
38	217	الشعراء	كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ	23
60	214	الشعراء	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ	24
46	62	النمل	أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ	25
40	83	القصص	تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا	26

			لِّلَّذِينَ	
43	83	القصص	فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ	27
47	19	عنكبوت	أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ	28
71	10	التحريم	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ	29
71	11	التحريم	وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ	30
27	7	المطففين	كَأَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْمُجَارِ لَفِي سَجِينٍ	31

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

م	طرف الحديث	الراوي	رقم الصفحة
1	خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عازماً على تنفيذ أمر ربه.	ابن عباس	78
2	عن ابن عباس رضى الله عنه قال: لما أنزل الله: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» أنى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا	ابن مسعود	60
3	في بني إسرائيل والكهف ومريم وطاها والأنبياء	زيد بن ثابت	50
4	قال: "فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، كنت أسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ بها	عبد الله بن الزبير	85
5	"قلت لعثمان بن عفان: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً" (البقرة:240) قال: قد نسختها الآية الأخرى،		59
6	كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ يَدْعُو بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ عنده، فيقول: ضَعُوا هَذِهِ السُّورَةَ		79

فهرس الأعلام

رقم الصفحة	العلم	
13	ابن فارس	1
20	الإمام برهان الدين البقاعي	2
25	أبوعلي الأعلى المودودي	3
34	أبو منصور	4
15	الإمام فخر الرازي	5
12	خير الدين بن محمد الزركلي	6
24	الزركشي	7
31	السيوطي	8
13	الشيخ الأمين الهروي	9

فهرس المصادر و المراجع:

القرآن الكريم

1. القرآن الكريم

كتب التفسير وعلوم القرآن

1. أنوار التنزيل وأسرار التأويل — ناصر الدين البيضاوي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة الأولى 1418 هـ.
2. أحسن الكلام للشيخ أبي زكريا عبد السلام الرستمي، طبعة: جامعة عربية لإشاعة التوحيد والسنة، بده بير پشاور.
3. البرهان في علوم القرآن للزركشي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
4. تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420 هـ 1999 م.
5. التفسير الكبير مفاتيح الغيب — فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ.
6. تفسير المظهري — محمد ثناء الله المظهري، مكتبة الرشدية — باكستان، الطبعة 1412 هـ.
7. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للشيخ محمد الأمين الحريري.
8. تفسير النسفي — أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، 1419 هـ 1998 م.
9. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني — شهاب الدين محمود الألوسي، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى، 1415 هـ.
10. رشد القرآن في تفسير آيات القرآن، مكتبة رحمانية بشاور باكستان، الطبعة 2016.
11. الكشف والبيان عن تفسير القرآن — أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1422 هـ 2002 م.
12. مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان رحمه الله، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة عشر، (1993 هـ).
13. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، (المتوفى هـ) الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1420 هـ.

14. معارك الأقران في إعجاز القرآن، ويسمى (إعجاز القرآن ومعتزك الأقران) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (المتوفى: 911هـ) الطبعة الأولى، دار النشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان، 1408هـ.
15. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للمؤلف إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (المتوفى: 885هـ) دار النشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ-1987م.
16. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي — أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة الأولى، 1420 هـ.
17. نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ليهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي : ج: النص ، ط: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1415 هـ - 1995م.

كتب الحديث

1. سنن الترمذي — محمد بن عيسى الترمذي، بتحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1996 م. سنن الترمذي — محمد بن عيسى الترمذي، بتحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1996 م.
2. صحيح البخاري — أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر 1311 هـ.
3. مسند البزار، المشهور ب "البحر الزخار" لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العنكي المعروف بالبزار مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط: 1، بدأت 1988م، وانتهت 2009

كتب اللغة والمعاجم

1. لسان العرب — ابن منظور محمد بن مكرم، دار إحياء التراث العربي — بيروت، الطبعة الثالثة، 1999م.
2. القاموس المحيط — فيروزآبادي محمد بن يعقوب، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة — بيروت، الطبعة الثامنة، 2005 م.
3. معجم مقاييس اللغة — أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق عبد السلام بن محمد هارون، دار الفكر، بيروت..

كتب التاريخ والتراجم

1. الأعلام — خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة، بيروت، 2002م.
2. جمهرة أعلام الأزهر الشريف في القرنين الرابع والخامس عشر الهجريين — أسامة الأزهرى، المكتبة الإسكندرية، 2019م.

مراجع عامة ومتفرقات

1. دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني. ت: الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ / 1985م.
2. الشفا بتعريف حقوق المصطفى القاضي أبي الفضل عياض: دار الفكر، بيروت، 1407هـ / 1988م. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للمؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، 22، الناشر: دار المعرفة، بيروت.
3. شرح التهذيب في المنطق للشيخ مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين التفتازاني (712-793هـ)
4. القطبي في المنطق للشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد الرازي أبو عبد الله، قطب الدين (694-766هـ)

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	البسملة	2
2	الإهداء	3
3	الشكر والتقدير	4
4	المقدمة	5
5	التعريف بالموضوع	5
6	أهمية هذا الموضوع	6
7	أسباب اختيات الموضوع	6
8	الدراسات السابقة	7
9	أسئلة البحث	8
10	حدود البحث	8
11	منهج البحث	8
12	خطة البحث	8
13	الفصل الأول: المقدمة في علم المناسبات،	8
14	الفصل الثاني: اهتمام الشيخ ببيان المناسبات بين الآيات	9
15	الفصل الثالث: منهج ببيان المناسبات بين السورة القرآنية	
16	التمهيد	10
17	نبذة من حياة المؤلف	10
18	مولده ونشأته	10
19	تلاميذه	10
20	جهوده العلمية ومؤلفاته	11

الرقم	الموضوع	الصفحة
21	مؤلفاته	11
22	الفصل الأول: مقدمات في علم المناسبات	12
23	لمبحث الأول: تعريف علم المناسبات	
24	المبحث الثاني: نشأة علم المناسبات	
25	المبحث الثالث: أهمية علم المناسبات	
28	المبحث الرابع: أنواع المناسبات	12
29	المبحث الخامس: مقدمات مهمة في علم المناسبات	
30	الفصل الأول: اهتمام الشيخ أسيد الله رحمه الله ببيان الآيات	13
31	المبحث الأول: بيانه للمناسبات في الآية الواحدة	14
32	المبحث الثاني: بيانه للمناسبات بين مجموعة من الآيات	23
33	الفصل الثاني: اهتمام الشيخ ببيان المناسبات بين السورة القرآنية	45
34	المبحث الأول: بيانه للمناسبة بين مضمون السورتين	46
35	المبحث الثاني: بيانه للمناسبة بين فواتح السورتين	46
36	المبحث الثالث: بيانه للمناسبة بين فاتحة السورة	46
37	الخاتمة	91
38	ملخص البحث	92
39	نتائج البحث	92
40	أهم النتائج	92
41	التوصيات	94

الرقم	الموضوع	الصفحة
42	فهرس المصادر والمراجع	95
43	فهرس المحتويات	98

فهرس الموضوعات